الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة د. مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية الآداب واللغات والفنون

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس الموسومة بـ

قراءة في كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي

للدكتور عبد السلام المسدي

إعداد الطالبة:

✓ زروقي ميعاد

تحت إشراف الدكتور:

* د. دين العربي

السنة الجامعية:

2021-2020

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أمي وأبي اللذان لولاهما ما أنجزت مذكرتي...

أشكركم حد السماء على كل شيء ودمتما فوق رأسي

إلى جدتي الغالية، لا أستطيع تحمل فكرة أنك رحلتي ولن تعودي، اشتقت إليك بحجم فراغ مكانك الذي تركتيه، أحبك جدتي يا أغلى روح فارقتني... روحك التي ذهبت في رحلة طويلة إلى السماء سافرت معها أرواحنا وتمزقت قلوبنا لرحيلها، يا ربي إنك تعلم بما في قلبي لها، فاغفر لها وارحمها واجمعني بها مرة أخرى... إلى الجنة بإذن الله

إلى أستاذي د.دين العربي الذي تميز بالأخلاق والشخصية القوية واللطيفة...

أشكرك على جهودك معي

إلى أخواتي اللواتي وقفن بظهري كالواقفين يحمون الوطن يمنحون ويدعمون ويسامحون على تقصيري دون لوم أو عتب...أشكركم سيرين، آية وياسمين

إلى أخي الذي سقاني حب القراءة دون أن يدري... فقد سبقته بتلخيصي لهذا الكتاب ولكني أعلم أنه إن أمسك قلمه يسبقني بأميال... أشكرك يا ألطف أخ

إلى صديقاتي وأحبتي لو كان الأمر بيدي لكتب قائمة مطولة بأسمائكم وأفضالكم علي، ولكن أخشى من ذاكرتي الضعيفة أن تنسى أحداً فأخيب آمالكم وأنتم كنزي الثمين، يكفيني أنكم تملئون حياتي بالحب والتقدير وتبهرونني بمقدرتكم على إعطائي المزيد رغم تقصيري...أشكركم

الشكر:

أول من يشكر ويحمد آناء الليل وأطراف النهار هو العلي القهار الأول والآخر والظاهر والباطن

الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى، وأغدق علينا برزقه الذي لا يفنى وأنار دروبنا

فله جزيل الشكر والحمد والثناء العظيم

هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله

سيدنا محمد بن عبد الله عليه أزكى الصلوات وأطهر التسليم

لله الحمد والشكر كله أن وفقني وألهمني الصبر على المشاق التي واجهتها لإنجاز هذا العمل المتواضع

والشكر موصول إلى كل معلم أفادين بعلمه من أولى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة كما أرفع كلمة الشكر إلى الدكتور المشرف "د.دين العربي" الذي ساعدني على إنجاز بحثي

وفي الأخير يسعني إلا أن أدعو الله عز وجل أن يرزقنا الرشاد والعفاف والغنى وأن يجعلنا هداة مهتدين

مقدمة

المقدمة:

لغة الأمة هي مصداق هويتها ونسغ حياتها ووعاء ثقافتها ومجتلى حضارتها ومرآة نهضتها وحاضنة تراثها وهي ذاكرة الأمة وتاريخها، ووجود الأمة مرتبط بوجود لغتها، والأمم التي انقرضت لغاتها زالت من الوجود واللغة هبة تميز الكائن البشري على ما عداه من الكائنات، يتم انتسابها التدريبي مع النمو الأول لخلايا الطفل في شهور عمره الأولى، من خلال لبنة الأم وصوتها، ومن هنا جاء مصطلح "لغة الأم" الذي يطلق دائماً على اللغة التي تلقاها الإنسان بفطرته وغريزته، وتعلمها كما تعلم الأكل والشرب والمشي وربما بدون جهد إرادي منه ولكن من خلال الاستجابة الغريزية لدوافع البقاء والتحضر.

ولهذا فاللغة الأم تصبح جزءاً من شخصية صاحبها وتظل حتى وإن زاحمتها لغات أخرى فيما بعد، هي أقرب اللغات للتعبير عن الخلجات الدقيقة على اختلاف ميادين الإرسال والاستقبال.

واللغة كما ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربية عام 2003م، أبرز سمات المجتمع الإنساني، وما من حضارة إنسانية إلا وصحبها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراعاً لغوياً، فاللغة هي المنظار الذي من خلاله يدرك الإنسان عالمه، وهي العامل الحاسم الذي يشكل هوية هذا الإنسان ويضفي على المجتمع طابعه الخاص فالهوية نتاج المعاني التي يشيدها الأفراد عبر اللغة، والطابع الخاص للمجتمع وليد تفاعل ما يسري في داخله من خطابات لغوية ترتهن بالمتغيرات التاريخية وتعكس كل ما تزخر به المنظومة المجتمعية من أوجه الوفاق والشقاق.

تتميز اللغة العربية عن كل لغات البشر بأنها لغة العبادة ولهذا انتشرت في الإسلام في كل شبر وصلت إليه تلك الدعوى الخالدة، واستطاعت في سنوات معدودات أن تبتلع اللغات المحلية،

التي كانت تتكلم بها شعوب أخرى وكأنها عصى النبي موسى عليه السلام التي ألقاها أمام السحرة فهي تلقف ما يأفكون.

وارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي ساعد كثيراً على سرعة وزيادة رقعة انتشارها، كما أوجد التسامح في الإسلام رابطة قوية بين اللغة والهوية الثقافية، ويمثل ذلك المبدأ الأثر النبوي الشريف الذي رواه المؤرخ والمحدث الشهير ابن عساكر: "ليست العربية من أحدكم بأبيه ولا بأمه، وإنما العربية لسان، فمن تكلم العربية فهو عربي".

وبعد تمعن وقراءة نرى أن فضاء العربية ينحصر مع كل يوم جديد فتفيض اللغات الأجنبية واللهجات المحلية على الفراغ الذي ينشأ مع هذا الانحصار انطلاقاً من هذا الهم يطرح الدكتور المسدي في سؤاله الإجرائي: إلى من نتجه بخطابنا عندما نثير مسألة لغوية؟ إلى النخبة الفكرية حيث ورشات إنتاج الأفكار؟ أم إلى النخبة السياسية حيث مطاهي صناعة القرار؟ أم إلى الجمهور؟ الذي على كواهله تنبثق الأفكار وعلى سواعده ينزل القرار؟

ويتبع عنوان البحث "الهوية العربية والأمن اللغوي" للناقد وعالم اللسانيات التونسي عبد السلام المسدي بالتوثيق والتحليل سلسلة من المبادرات والمشاريع التي يرجها الكاتب ضمن ما يسميه الوعي اللغوي الجديد.

وفي مذكرتنا وبحثنا سنتعرف على هوية لغتنا بالتفصيل وعن الوعي اللغوي الجديد وعن وجهة خطابنا عندما نثير مسألة لغوية وغيرها من الأمور.

مدخـــل

مدخل:

اللغة أداة تواصل، بها يعبر الناس عن مشاعرهم وآراءهم ويخبرون عن همومهم وأحلامهم، إنها أداة فهم، وهذا التعريف ينطبق على كل لغات العالم في كل مكان وكل زمان، فاللغات متساوية في وظيفتها التواصلية، ولذلك ليس من الخطاب العلمي في شيء أن تفضل لغة على أخرى في أداء هذه الوظيفة أو أن تحتقر لغة بأنها أقل قدرة على التعبير... فاللغة اصطلاح وتواضع واتفاق بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، ومن المهم أن نشير إلى أن الفرد يولد في المجتمع فيكتسب لسان ذلك المجتمع اكتساباً أمومياً دون أن تثور في ذهنه فكرة الاعتراض على تلك اللغة أو فكرة استصعابها، وعلى هذا الأساس تكون اللغة العربية أداة تواصل كغيرها من اللغات في المجتمعات الأخرى، غير أن الواقع هو أنها ليست هي لغة التداول اليومي رغم كونها اللغة الأم في المجتمع العربي، وتثور حولها مشاكل كثيرة في التربية والإعلام، ويتنافس الناس في ذلك ويختلفون ويتخاصمون فأين المشكلة؟[1]

إن قضية اللغة العربية في إطار المجتمع العربي، ليست مشكلة لسانية بل إنها مشكلة "تاريخية حضارية" وهذا ما نفهمه من قول عبد السلام المسدي: "إن اللغة العربية لو أنصفها التاريخ وأهلها، لكان من المفروض أن تكون هي أداة التداول المطلقة وأن تكون أداة التداول في كل ما يتصل بمجالات الفكر والثقافة والمعارف وبكل حقول التسيير والتوجيه، وكذلك بكل دوائر الإبداع والفنون..." عبد السلام المسدي: مكانة اللغة العربية في مواجهة انتشار اللهجات العامية عبر وسائل الإعلام[2].

وما يلفت في قول الأستاذ المسدي هو عبارة "لو أنصفها التاريخ وأهلها"، وفيها شقان، أولهما الوضع التاريخي والآخر هو الوضع الاجتماعي أو الحضاري وإذا بدأنا بالثاني قلنا أن مشكلة

[1] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

[2] موقع من الإنترنت (دراسة وتوثيق) agatha.Chritie.site

المجتمع العربي مشكلة عامة أي في جميع المستويات، فليست اللغة العربية إلا مرآة ينعكس عليها حال المجتمع، فإن كان ذلك المجتمع متقدماً كانت اللغة متقدمة أو في وضع سوي لسانياً واجتماعياً وإن كان العكس فالعكس.

وأما عن الوضع الاجتماعي فقد أكد الأستاذ المسدي أن ثمة وضعاً غير طبيعي تاريخياً، وإن لم يشخصه بتفصيل لأن مقام مداخلته وموضوعها لم يكونا في تلك الوجهة، فما الذي حدث في الواقع العربي حتى تفقد العربية مكانتها في المجتمع العربي؟ هذا ما سنعرفه في بحثنا هذا في الفصول القادمة إن شاء الله.

لئن تقرر أن اللغة العربية ليست بدعاً بين اللغات من حيث كونها أداة تواصل ومن حيث قيامها على خصائص نظامية مميزة، ولئن تقرر أيضاً أن المشكلة بين الشفوي والمكتوب ليست مشكلة "عربية" خاصة، فإن ثمة خصوصيات "عربية" في مشكلة "اللغة العربية" وأول هذه الخصوصيات هي أن المشكلة تثور في المجتمع العربي في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين، فمتى بدأت؟ متى أخذ التوازن اللغوي يختل في المجتمع العربي؟

إننا لا نستطيع أن نقدم تاريخاً دقيقاً لبداية المشكلة لكن بالإمكان أن نقدم ملامح الفترة التي نشأت فيها. إن الفترة التي أخذ فيها المجتمع العربي يتفكك نسيجا اجتماعياً والسبب في ذلك أن يكون التفكك بفعل داخلي (انفصالي) أو بفعل خارجي (تجزئة)، حيث أن النتيجة واحدة وهي التصدع والتخلف وتمزيق الكيان العربي على أن المشكلة لا شك ستؤثر أسبابها في طريقة فهمها ومن ثم حلها، ولهذا نقول أن هناك ظروف داخلية يتجاوز فيها مقامنا الحديث هذا تضافرت مع مشاريع هيمنة خارجية أدت إلى التخلف الحضاري واللغوي في المجتمع العربي[1].

[1] المركز العربي للأبحاث في كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي.

ومهم أن نعرف ذلك لأن امتداد أسباب المشكلة في الواقع دون أن ننتبه إليها، سيبقي الواقع على ما هو عليه، وسيؤدي إلى هدر جهود كثيرة لأنها لن تكون موجهة الوجهة السليمة، ثم إن هذا مهم لنعرف مدى وعي الأطراف الداخلية بما تفعله تثبيتاً للمشكلة أو تعجيلاً بحلها.

إن المشكلة العربية ليست مطلقة وإنما هي مشكلة تثور في المجتمع العربي، وهذا مهم لأن كل الذين يتحدثون عن إرادة حل المشكلة يتحدثون بشكل مباشر أو غير مباشر عن الإرادة السياسية، فهل أن الإرادة السياسية في الوطن العربي واحدة، وهذه الإرادة هي بلغة أخرى برنامج سياسي، واع بالتأصيل الحضاري، ومن عناصره "التخطيط اللغوي"، "الهوية العربية" و"التنمية اللغوية" وصولاً إلى مفهوم "الأمن اللغوي"، وهو مكون رئيسي من مكونات الأمن القومي؟[1].

وبعد فإن مشكلة العربية ليست إلا جزءًا من مشكلة المجتمع العربي على وجوهها المتعددة، فالعربية لغة تواصل حية، وليس من الطبيعي أن يختار العربي أن يترك لغة هويته تلقائياً إلى أشكال أخرى من التواصل أو إلى لغات أخرى، ولذلك نقول أن حل المشكلة تكفي فيه الدعوة إلى الاعتناء بوسائل الإعلام وتحسين لغتها أو الدعوة إلى تطوير تعليم العربية، فهذه مسائل فنية تقنية أقرب إلى التنفيذ، وهي ضرورية وغير كافية.

[1] مقدمة من كتاب الدكتور عبد السلام المسدي للهوية العربية والأمن اللغوي.س

شكل الكتاب:

- **اسم المؤلف:** عبد السلام المسدي
- **عنوان الكتاب:** الهوية العربية والأمن اللغوي (دراسة وتوثيق)
- **عدد صفحات الكتاب:** 445 صفحة
- **حجم الكتاب:** (17×24) كبير الحجم
- **دار ومكان النشر:** المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات
- **تاريخ النشر:** 2014/07/01

محتوى الكتاب:

- **عدد الفصول:** 22 فصل +مقدمة وخاتمة

بعض المصادر والمراجع:

- كتب ابن جني
- أبو فتح العثمان
- في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى

مضمون الكتاب:

يتتبع كتاب "الهوية العربية والأمن اللغوي" للناقد وعالم اللسانيات التونسي الدكتور عبد السلام المسدي، بالتوثيق والتحليل سلسلة من المبادرات والمشاريع التي يدرجها الكاتب ضمن ما يسميه الوعي اللغوي الجديد، ويشتمل الكتاب على اثنين وعشرين فصلاً وخاتمة.

ويقدم الكاتب فيه خلاصة سنوات طويلة من البحث والنضال دفاعاً عن اللغة العربية، يستأنف الدكتور المسدي في الفصل الأول من الكتاب الأسئلة كما انتهى إليها في كتابه "العرب والانتحار اللغوي"، الذي صدر عام 2011، ويبرر العودة إلى هذه الأسئلة بما جد من أحداث لم تكن متوقعة، وبأن "استئناف الأسئلة هو أحد أسس النضال الفكري المتجدد"، ويتساءل الكاتب: "ألا نكون قد أسأنا طرح السؤال للغة؟"، ويشير إلى أن البحث في الشأن اللغوي دأب على الاهتمام بالخطاب الطاعن في صلاح العربية موحياً أن زمنها قد ولى، لينتج خطاب مرافعة يقوم أساساً على تنفيذ هذه المزاعم وتفكيك آليات المناورة الثقافية، ولكن الكاتب يرى أن المشهد العربي العام يحملنا على الاقتناع بأن وعياً لغوياً جديداً ينبثق وتتسارع تجلياته، وهذا بالضبط هو موضوع الكتاب الذي يعمل فيه المسدي على التشخيص المعرفي واستقراء نشأة الوعي اللغوي الجديد، بمفاصله الزمنية ومضامينه الدلالية، واستشفاف ما قد ينتهي إليه من مآلات ولذلك يرى الكاتب أنه يتصدى لخطاب المنافحة موضوعاً للاستقراء والتشريح بدلاً من اتخاذ خطاب المناكفة.

ويضع الكاتب منذ البداية علامات الافتراق بين ما يطرحه في هذا الكتاب والدارج طرحه في شأن القضية اللغوية، فيشير أولاً إلى أنه يحاول عدم الوقوع فريسة لثلاثية الخطاب اللغوي العربي بين الخطاب العاطفي والخطاب الإيديولوجي والخطاب الغيبي الإيماني، بل يتبنى خطاباً مغايراً

يستجيب لأشراط الموضوعية العلمية، ويتواءم ومتطلبات التشخيص العقلاني من دون أن ينخرط في أعراض الاستلاب الثقافي أو يجر عليه إعوار الإثبات الحضاري[1].

يجمع الدكتور المسدي في هذا الكتاب بين توثيق عدد كبير من المبادرات والمشاريع التي أطلقت في مختلف الأقطار العربية، وتهدف كلها إلى النهوض باللغة العربية، وتشخيصه وتحليله، وتقييمه وتقويمه، لهذه المشاريع والمبادرات، إذ أنه واكب هذه المحطات والمنعطفات جميعها حاضراً محاضراً في ما كان منها مشاريع وبرامج ومؤسسات، مشاركاً في جدلها، وأحياناً مساهماً في توضيبها، أو مستقرئاً لنتائجها ومساهماً في إنضاج بعضها.

ويحاول الكاتب على امتداد عرضه التوثيقي التحليلي أن يمد القارئ بخيوط ناضمة تسهل له مهمة تجميع الإدراك بشأن مبادرات ومشاريع وقضايا ومساءلات تتداخل في سياقها الزمني وتفاصل في مقاربتها لأولويات حل المعضلة اللغوية في الواقع العربي.

ينطلق الدكتور المسدي من عرض حال اللغة العربية وتشخيص أوضاعها بين أهلها وذويها وأبنائها مع نهاية القرن العشرين، ثم يتطرق إلى أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001، وما نجم عنها من انفجار الضغائن الثقافية الكبرى فتطايرت شظاياها على اللغة، ثم ينتقل إلى أبرز إنجاز صنعه المثقفون العرب حين أصدروا وثيقة الإسكندرية وأسسوا منتدى الإصلاح السياسي العربي، ليعبر إلى ما يعرف بالمجتمع المدني، وبعضها الآخر كان نمطاً جديداً مزدوج الصفة، يتخذ شكل منظومات المجتمع المدني وترعاه جهات نابعة من السلطة الرسمية تكون حاضناً كفيلاً، ويسير الكاتب ما عسى أن تكون المسألة اللغوية قد جنت من تفجر الأوضاع في بعض أقطار الوطن العربي، وبروز بوادر تحول تاريخي عميق.

[1] موقع من الإنترنت http://www.noor-book.com

- الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق– المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

وفي الأخير يضع الكاتب مسرداً يبوب فيه تواريخ الأحداث والمبادرات والمشاريع المذكورة في الكتاب طبقاً لتسلسلها الزمني، ولا تقتصر أهمية هذا المسرد –بحسب ما يقول الكاتب– على تسيير مهمة القارئ حين يروم إعادة ترتيب الوقائع والشواهد.

أ. **عبد السلام المسدي:**

ولد عبد السلام المسدي عام 1945 في مدينة صفاقس في الجنوب التونسي، حاصل على دكتوراه دولة منذ 1979، وارتقى إلى أعلى درجة جامعية في 1984، اختار مجال اللسانيات أو "الألسنية"، وهي من التخصصات النادرة التي يتداخل فيها المنهج العلمي الصارم مع المنهج النقدي التحليلي للنصوص الإبداعية، إضافة إلى أنه تخصص حديث النشأة نسبياً، ولم يكن قد تجذر عالمياً في ستينات القرن العشرين، بينما لا يزال يحبو حتى اليوم في عالمنا العربي، انهمك في فقه اللغة وفلسفيتها، ومارس التدريس في عدد من الجامعات، قبل أن يتقلد وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الثمانينات، وعمل في الحقل الدبلوماسي مندوباً لتونس في الجامعة العربية وسفيراً في السعودية.

ثم عاد للتدريس الجامعي والبحث الأكاديمي والتأليف، وهو عضو في مجامع اللغة العربية في كل من تونس، ليبيا، دمشق، بغداد، ونال العديد من الجوائز التقديرية، أحدثها جائزة سلطان العويس للنقد الأدبي 2009[1].

لكن لم يقتصر نشاطه في البحث الأكاديمي الصرف، وإنما ظل يبحث عن مرفأ إبداعي أدبي "بين الشعر والنثر" تارة وبطرق باب الرواية حيناً، ويعد لكتابة مذكراته التي يعتبرها "شهادة الذات على نفسها"[2].

[1] موقع وكيبيديا – عبد السلام المسدي–

[2] موقع المعرفة marefa.org

سيرته:

- حصل على جائزة في اللغة العربية والآداب العربية –تونس 1969-
- التبريز في الأدب العربي 1972
- الحصول على دكتوراه دولة
- الارتقاء إلى أعلى درجة جامعة 1984
- وزير التعليم العالي والبحث العلمي 1987-1989
- سفير لدى جامعة الدول العربية 1989-1990
- سفير لدى المملكة العربية السعودية 1990-1991
- استئناف التدريس في الجامعة منذ أكتوبر1991
- عضو مجامع اللغة العربية في تونس ودمشق وبغداد وطرابلس.
- أمين سر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية
- ممثل المجتمع التونسي لدى اتحاد المجامع العربية

من مؤلفاته:

- الأسلوبية والأسلوب 1977
- التفكير اللساني في الحضارة العربية 1981
- النقد والحداثة 1983
- في آليات النقد الأدبي 1994
- مراجع النقد الحديث 1989
- قضية بنيوية دراسة ونماذج 1991
- ما وراء اللغة 1994
- النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص 1977

- الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية 1985
- اللسانيات من خلال النصوص 1986
- اللسانيات وأسسها المعرفية 1986
- مباحث تأسيسية في اللسانيات 1997
- العولمة والعولمة المضادة 1999
- اتقوا التاريخ أيها العرب 1999
- الأدب العجيب 2000
- بين النص وصاحبه 2002
- رواية تنتظر من يكتبها 2002
- العربية والإعراب 2003
- اللسانية وسلطة اللغة 2007
- تونس وجراح الذاكرة 2011
- العرب والانتحار اللغوي 2011
- الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق 2014
- البوح اللطيف 2015
- فتنة الكلمات 1998
- أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث 1996[1]

الجوائز التي تحصل عليها:

- جائزة الدولة (تونس) 1985
- الجائزة التقيدرية من مؤسسة باشراحيل للإبداع الثقافي (بيروت) 2008

[1] وكيبيديا –عبد السلام المسدي–

- جائزة سلطان العويس في الآداب (الإمارات) 2009
- جائزة العويس الثقافية للدراسات الأدبية والنقد –الدورة الحادي عشرة- 2008-2009
- الجائزة التكريمية من مؤسسة يماني الثقافية (القاهرة) 2010
- جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب (مسقط) 2015[1]

[1] موقع البيان (دار البحار).

الفصل الأول:

تلخيص كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي

في الفصل الأول بين لنا الكاتب عبد السلام المسدي أن:

استئناف الأسئلة قد يبدو ضرباً من الاستئناف الفكري أو عارضاً من أعراض العبث النظري حتى لو جاء على مسافة سنوات قليلة معدودات، فقد ساءت حالنا اللغوية وبلغ الخطر في زمن وجيز مدى مفاجئاً ما انفك يستحفل معه الخطر الساحق، ولن يندم العرب على شيء كما قد يندمون على أنهم لم يلبوا نداء لغتهم وهي تستجير بهم منذ عقود أن أدركوني —ولقد كان هناك– أمران جاءا يكثفان الوعي بمأزق اللغة العربية، ويدفعان ببعض النخب هنا وهناك وهما: ظاهرة الكونية الثقافية المتسترة بعباءة العولمة وامتدادها، وظاهرة التهمة الجاهزة التي أمنعت في الإلهاء إلى حد الإضلال، وها هي اللغة العربية ينحصر فضاؤها يوماً بعد يوم وإذا الذي تتركه من فراغ يهبط هدية سخية بين الأحضان إما تتلقفه اللغة الأجنبية أو تتلقفه اللهجة العامية، وقد تتعاونان على تقاسمه.

ولا شك في أن هذا الفيض الغزير من أدوات التواصل أو البث ما كان له أن يبلغ ما بلغه من تأثير رمى بنا في الهجنة اللغوية لولا التغيرات العميقة التي عصفت بما كان يطلق عليه مصطلح "النظام العربي"، ولن نستكثر عليها لو أفردنا لكل واحد منها كتاباً من القول مفصلاً، واليقين القاطع أن واقعنا العربي إذا تواصل استخفاف قادته بالمعضلة اللغوية ولم يحسموا أمرهم في رسم إستراتيجية ملزمة تقوم على سن سياسة لغوية جريئة، فتنبثق مشاهد تعبيرية تتمازج فيها بقايا الفصحى وشظايا اللغة الأجنبية.

ولهذا علينا أن نستحضر من الحقائق العامة القاطعة:

أولاً: أن نبدأ بإنصاف رجال التعليم، فكثيراً ما يصب عليهم غضب المجتمع محملين إياهم مسئولية الضعف اللغوي السائد بين صفوف الناشئة في كل مراحل التعليم.

أن أي منظومة تربوية في أقطارنا العربية محكوم عليها في مجال ترسيخ الملكة اللغوية بالفشل الرهيب ما دامت اختياراتنا الإعلامية على ما هي عليه في النصيب الأعظم منها.

ثانياً: من يظنون أن اللغة الأجنبية هي الحل السحري للمعضلة الحضارية هم الناقمين على اللغة العربية وتصور لهم أوهامهم إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي أو إحلال العامية محل العربية وليس من شيء أفضل من ذلك شاهداً على التهاوي الذاتي، وليس من شيء كالتهاوي الذاتي دليلاً على الضياع الاجتماعي، وإذا بقيت اللغة العربية على حالها سيتحول إلى استحفال ظاهرة التفكك التدريجي الذي ينخر اللغة القومية سيعقد ردم الفجوة الثقافية، وسيجعل الزمن المنظور لذلك اللحاق الذي ظللنا نسعى إليه منذ بداية النهضة الحضارية مقتضياً لإضعافه.

ثالثاً: لها علاقة متينة بسابقتيها لأن من أولويات المنافسة الكونية على بقاء الانخراط في إملاءات مجتمع المعرفة بالامتثال لأشراط التنمية المتجددة، أي – أن قوانين الوجود على الأرض باتت تقتضي الانخراط في المنظومة الإنسانية على وجه الاضطرار بعد أن ولى زمن الاختيار في الاندماج الكوني- وأما الذين لا يعلمون ويظنون أنهم يعلمون فالوهم يوحي إليهم أن اللغة ليست إلا أداة، وأن اللغات بدائل وبأي لغة نستطيع أن نصنع حضارة، لأن العرب لم يفلحوا في كسب رهان التاريخ لا بواسطة اللغة الأجنبية ولا بواسطة لهجاتهم العامية، ولو أرادوا أن يفعلوا ذلك بالأولى لظلوا تابعين طول الدهر ولعجزوا أن يصيروا يوماً متبوعين، فاللغة ليست وعاءً ولا اللغات أوعية لأن العلم قد فرغ من إثبات هذه البديهيات.

وإذا تحدثنا عن الثورة الرقمية وبفضائها الافتراضي فماذا سيفعل العرب هنا إذا تخلوا عن لغتهم الفصحى وراحوا يتحسسون التقنية العالية بواسطة اللغة الأجنبية أو بواسطة العامية؟ وكيف نربي جيل الناشئة منذ البدايات الأولى على ثقافة الحاسوب إن نحن لم نرع مهاراته باللغة القومية الناضجة الراسخة؟

رابعاً: هذه الحقيقة يجب أن تتطلب روحاً نقدياً عالي السقف لأنها تتحدث عن التكلم باللغة الفصحى مهما حدث فالخطاب باللغة العربية مع الأعاجم مثله مثل مشاغب مشاكس يحرم أصحاب الحفلة مواصلة السهر وهذا ما تبينه المدرسة في هذا المجال الواسع أن تجعل الطفل العربي صلباً ورصاً في لغته الأم والأصل حتى شيبه[1].

وتتشارك هذه الحقائق في تكثيف وعي النخبة العربية، بمأزق لغتها وهي الكونية الثقافية وامتداداتها والتسويق المتزايد للتهمة المراوغة الجاهزة التي تطابق بين الإسلام والإرهاب، ثم بين العرب والإسلام، وتقود إلى نتيجتها "المنطقية" وهي أن اللغة العربية، لغة العرب والإسلام، هي لغة تختزن بذاتها العنف والكره وتدفع إلى الإقصاء[2].

يرى الكاتب بعد تمعن وقراءة، أن فضاء العربية ينحسر مع كل يوم جديد، فتفيض اللغات الأجنبية واللهجات المحلية على الفراغ الذي ينشأ من هذا الانحسار انطلاقاً من هذا الهم، يطرح المسدي سؤاله الإجرائي: إلى من نتجه بخطابنا عندما نثير المسألة اللغوية: إلى النخبة الفكرية حيث ورشات إنتاج الأفكار؟ أم إلى النخبة السياسية حيث مطاهي صناعة القرار؟ أم إلى الجمهور الذي على كواهله تنبثق الأفكار وعلى سواعده يتنزل القرار؟[3]

وفي الفصل الثاني بين الكاتب بأن:

المشهد العام يحملنا على الاقتناع بأن وعياً لغوياً جديداً ينبثق وتتسارع تجلياته فيوحي بأننا في حضرة معالم غير مألوفة، وقد نخالها شبيهة باليقضة الحميدة، ونريد أن نراجع صيحة الفزع التي سبق لنا أن صحناها، لا بالانخراط في الحماسة المتدفقة أو في النضال الفكري المنفعل وإنما

[1] الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي (دراسة وتوثيق)

[2] "اللغة العربية هويتنا القومية"، الحياة الثقافية (تونس)

[3] كتاب اللغة العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

بالتشخيص المعرفي ومبتغانا هو استقراء نشأة الوعي اللغوي الجديد بمفاصله الزمنية ومضامينه الدلالية، وأن نجوس من خلال تشكله بحثاً عن حوافزه.

ويوجد محددين فارقين في الوعي اللغوي الجديد، أحدهما ذو وصلة بالمحتوى والآخر متعلق بالحيز الزمني.

الأول نعني به أن أعراف البحث في قضيتنا اللغوية قضت بأن الدارسين يهتمون بالخطاب في صلاح العربية والذي يثخن في أوصالها الحيلولة موحياً بأن زمنها قد توانى، ومن أول أشراط النهضة الحضارية هو استبدال غيرها بالعلوم الراقية والمعارف المتطورة وبذلك ساء الاهتمام بالخطاب.

أما المحدد الثاني يتناول معالجة تأسيس الفكر النقدي الجديد في المجال اللغوي والذي يصادف أنه ينطلق مع بدايات القرن الجديد الذي هو فاتح الألفية الجديدة[1].

وبحث المؤلف في علاقة هذه المجالات مع بعضها، وفي استجابة كل مجال للإشكال اللغوي المطروح، يثري بالكثير من الوثائق التي يعرضها ويحاورها ويبين شروط ظهورها ويتناول المؤتمرات التي انعقدت حول هذا الموضوع بدءً من المؤتمر الذي دعا إليه "المجلس الأعلى للثقافة في مصر"[2] بعد شهر واحد من احتلال العراق، والذي حمل شعار "الثقافة العربية من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل، نحو خطاب ثقافي جديد"، وانتهاءً بمؤتمر دبي 2014 مروراً بالقمم العربية بين عامي 2007 و2009، والآلية التي تعامل فيها القادة العرب مع تحدي القضية اللغوية التي بينت أن الإرادة السياسية العربية مرتهنة للنافذين في العلاقات الدولية، وأنها مشطورة في ما يشبه الفصام بين القول السياسي وبين ممارسته.

[1] مقتطفات من كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي.

[2] مؤسسة الرسالة للدكتور مازن المبارك.

ويتناول الكاتب تشكيل مجامع اللغة العربية وشروط تشكيلها وآليات عملها، ويرصد ردات فعل الدول المتحكمة بمسارات العالم كالولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية على محاولات تفعيل الأمن اللغوي العربي.

ثم يطرح "سؤال الأسئلة" كما يسميه: كيف نعالج موضوع اللغة خارج المسالك المعبدة فنوظف خطاباً مختلفاً عن السائد والمألوف؟ وفي السائد والمألوف ثمة ثلاثة أنواع من الخطابات: الخطاب العاطفي، الخطاب الإيديولوجي والخطاب الغيبي، وهي خطابات إذا تعالقت فسدت، وكل واحد منها بمفرده، عاجز عن الانخراط الفاعل في الزمن الجديد، ولا يرى في تحديده للإشكاليات ولا في صياغة أسئلة لعب ولا ترف، إنما يريد تحفيز البصر والتبصر من أجل الانتباه والنهوض لمواجهة بؤس حالنا اللغوي، ثم دفع هذا الخطر الداهم الساحق الذي يظهر في تعميم "التلوث اللغوي"، بفعل الفضائيات المعولمة ووسائل التواصل الاجتماعي التي تولد لغة عربية هجينة صارت هي لغة التخاطب في واحدة من أكثر لحظات التاريخ المعاصر توتراً.

ويشير إلى الغياب اللافت للمشروع اللغوي الجديد، بما هو استحقاق ثوري وديمقراطي، عن خطاب الثورات العربية، ويستحضر المثقف كالبداهة فلا يشترط عليه سوى أن يؤمن بالصيرورة التاريخية، وأن يعقل الأشياء بمنطق الثورة التكنولوجية منه دون أن يتخلى عن انتمائه، وأن يتعرف إلى قدره الذي يفرض عليه بالضرورة أن يناضل في سبيل الوعي الثقافي.

وعلى هذا إن قادة العرب، إن استمروا في استخفافهم بالمعضلة اللغوية وإن لم يباشروا في رسم إستراتيجية ملزمة تقوم على سن سياسة جريئة، سيجد العالم العربي نفسه في لغة تواصل هجينة من بقايا الفصحى وتوليفات من اللهجات المحلية وصياغات من لغات أجنبية، وحينها

سيسود تساهل وسهولة في التداول الشفهي وصعوبة كئيبة في التداول الكتابي، الحال الذي سيقود بالضرورة إلى أن كل بلد عربي على حدى، سيجتهد في صياغة منظومته الخاصة[1].

بعد هذه النتيجة، الكارثة المحتملة يؤكد الكاتب أن العرب لن يفلحوا في رهان التاريخ لا باعتمادهم اللغة الأجنبية ولا بتبني اللهجات المحلية، لأن الأولى ستجعلهم تابعين أبد الدهر، والثانية لن تسعفهم إلا بمراكمة التأخر ولا يمكن تغيير المسار الانحداري إلا بإنصاف المعلمين والاهتمام بهم، وهم اللذين لا يمكن أن يفعلوا شيئاً من دون مجتمع يتسم بالسلامة التعبيرية ومن دون إعلام يهتم ويلتزم بنصاعة اللغة[2].

وبناءً على ما سبق يسجل الكاتب الآراء التي تذهب إلى ضرورة هجر اللغة العربية واستبدالها بلغة أجنبية تبسط الاندماج بهذا العصر وتلبي متطلباته وهو السجل الذي يبتغي إرساء هوية واحدة، والمتصل بتفجير برجي التجارة العالميين الرمزين البارزين لسلطة المال وحكم القطب الواحد وتشكيل هوية عولمية مع إذابة القوميات، يعلق على ذلك بالقول إن هذا التوتر التاريخي "توتر 11 أيلول" قد تجاوز في معطياته محاورة الآخر والرد عليه، إلى الرد والمجادلة والمحاورة، بما هي خلاصة للذات الجماعية ما دام الآخر يسعى صريحاً إلى تفتيت الهوية من داخلها بادئً في طمس معالمها وتذرير عناصرها[3].

والفصل الثالث عنونه بـ:"بيت العرب"، حيث أن:

غزو الولايات المتحدة لأفغانستان تحت غطاء التحالف الدولي المعزز بقرارات مجلس الأمن المذعن لإرادة منفردة قد أحدث صدمة كبيرة بين المتفقهين في السياسة، وهم يخالون أنفسهم من كبار المحترفين، والفاجعة الكبرى كانت في غزو العراق، بالنسبة للمثقفين العرب، ومن حيث

[1] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

[2] كتاب النحو اللغوي.

[3] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

الترجمان، والترجمان أبلغ وأفصح عما تحس به الجموع التي هم ينطقون باسمها، وداخل أسيجة تلك النابئة تهاوت من على الوجوه أقنعة الائتمان لأصحاب الموالاة والذين احترفوا الاعتراض والمناقضة منادين بالنهل من جداول الإنسانية الفياضة ودعاة الهوية المتحصنون بأسوار الإرث الطاهر الزكي، فأصبحوا باكين على هويتهم منتحبين على لغتهم[1].

لم يمض شهر على احتلال العراق حتى قرر المجلس الأعلى أن يعقد مؤتمراً يلملم أشتات الضمير الثقافي المتشظي ولقد كان في جويلية 2003 وعنون بـ: "الثقافة العربية من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل نحو خطاب ثقافي جديد"، وحضر إليه جموع غفيرة من الأقطار العربية ومن المقيمين في الأصقاع الأجنبية ثم تنادى جمع من الأعلام إلى نشر بيان في هذا العرض كان من بينهم الروائي الجزائري الطاهر وطار والأديب المصري صنع الله إبراهيم.

وباسم المؤتمرين كان الحديث عن "تجديد الخطاب الثقافي" لا مسوغ له إلا إذا كان مقدمة للحديث عن "تغيير الفعل السياسي"، وكان من حظ الجميع أن المقترح قد استقبلته آذان صاغية واطمأن الحاضرون حين زال عن مخيلتهم شبح الخوف المرير[2].

ولقد كان المؤتمر خجولاً في انطلاقته، عنيداً في خاتمة مطافه (أي كان رداً مباشراً على الاستعمار الجديد)، فأرسى بنفسه على محاكمة الحال العربية قبل محاكمة من استهانوا بالعرب واستضعفوهم، ولكن فكرة الإصلاح ما هي إلا صيغة يلبسها قائلها ما من له من الأردية ويحملها ما حل له من الإيماءات[3].

---

[1] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

[2] عبد السلام المسدي... أسئلة المثقف والحداثة العربية، العربي الجديد.

[3] كتاب التفكير اللساني في الحضارة العربية.

البحث اللساني في المغرب العربي.

مقتطفات من كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

أما الإدارة الأمريكية فقد أخذت الموضوع يومئذ مأخذاً جاداً تناوله "كولن باول" في ديسمبر 2002 سمي بـ: "مبادرة الشراكة مع الشرق الأوسط"، مؤكداً بأنها "مبادرة للإصلاح السياسي والاقتصادي والتربوي"، وكل هذا فلقد احتل "جورش بوش الابن" العراق فعاد بإحياء المبادرة متصوراً أنه يفتح لشعوب منطقة فراديس الديمقراطية، والمبادرة كانت صدمة كبيرة في وجه الأنظمة العربية، ومن العرب الذين تولوا المبادرة د.جابر عصفور مع ثلة معدودة من مثقفين عرب.

وهنا انعقد مؤتمر الإسكندرية في مارس 2004 واشتغل الحشد الغفير من مختلف أقطار العرب، وتحدث عن الانتماء القطري والإقليمي وعن نوازع التحزب، وميول المذهبية، وحتى الصرامة الأكاديمية والعمل في هيئات المجتمع المدني (الولاء أو الاعتراض) و(التزكية أو النقض).

وانعقد مؤتمر القمة العربية السادسة عشر في تونس 2004 حتى فاضت أدبيات جمة اتخذت الإصلاح موضوعاً لمجادلات عجيبة يتوازى فيها المقصد المكشوف مع النوايا المضمرة، ومن أعجب أن الناس تحولوا حراساً مكينين على صفاء اللغة ونصاعة دلالات ألفاظها.

أما وثيقة الإسكندرية تناولت أركان الإصلاح الأربعة بحسب مجالات السياسة والاقتصاد والمجتمع والثقافة، وخصت مسألة اللغة العربية بإبراز مبدئي متين ونصت أيضاً في مادتها ما قبل الأخيرة (المادة 34) على الأولويات الثقافية ومنها (الحفاظ على اللغة العربية وتحديث آليات تكيفها مع التقنيات الرقمية الجديدة في عصر المعلومات).

وإذا تحدثنا عن النظام العربي في تلك المرحلة فنقول أنه كان كالعهن المنفوش في مجرى ريح عاصفة لأن الإرادة السياسية كانت رهينة لدى القوة الدولية المنتفذة وكان الوعي الثقافي يئن تحت كوابيس التهمة الجاهزة[1].

[1] موقع الإنترنت: النظام العربي.

لقد مضى زمن كان وجيهاً فيه الجدل بين قائلين بأن اللغة إن هي إلا أداة للتفكير ثم أداة للتعبير، وقائلين بأنها هي التفكير من حيث أنها العقل إذ يفكر وإذا تطلعنا على سلك خفي لاحم مداره التسليم بأنه لا شيء يدرك إلا باللغة[1].

ونتحدث عما أعده الكونغرس في الولايات المتحدة في تقريره عن حوادث 11 أيلول 2001، قام بتوصية لإدارة البيت الأبيض بأن تطلب من المملكة السعودية أن تكف عن طبع الصحف وتوزيعها، في نفس الوقت تخفيف معين اللغة التي جاء بها النص القرآني، فهذه هي الإرادة المتسلطة التي تصر على اجتثاث مقومات الهوية، وهنا تهيأ الوعي اللغوي السياسي ليخرج من حيز القوة إلى حيز الفعل إذ تم الإعلان عن إدراج موضوع اللغة العربية ضمن أمهات القضايا التي تخص العمل العربي المشترك والحفاظ على طبع القرآن الكريم وتوزيعه وعاد الملوك والرؤساء العرب إلى الموضوع بمناسبة قمتهم العشرين في دمشق (29-30 مارس 2008) ليصادقوا على مشروع النهضة باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة.

وفي الفصل الرابع تحدث عن النظام العربي وعن خطاب اللغة:

فإذا تحدثنا عن مصطلح النظام العربي فنجد السياسيين والإعلاميين يعبرون عن فهم متبادل فيما بينهم ولو سئل أحدهم عن المعنى أو عن التعريف لعجز عن الإجابة، فنسمع المصطلح كثيرا وتكاد الأوساط الأكاديمية لا تحرك ساكناً إزاء استعماله بدون ركيزة علمية أو رؤية ثقافية واضحة المعالم[2].

لم يقف مسئول عربي يوماً لا من الأنظمة العربية ولا من الجامعة العربية ليعرف لنا المصطلح أو ليحدثنا عن مضمونه أو المعاني التي ينطوي عليها[3].

[1] أسئلة المثقف والحداثة العربية.

[2] النظام العربي وخطاب اللغة.

[3] وثيقة قرار العرب.

وخلاصة ما استكان إليه اللفظ قابعاً فيما يشبه الاسترضاء الجماعي أنه يدل على ما قد تشترك فيه الأنظمة السياسية العربية، والشائع في قناعات المؤرخين والسياسيين وحق بعض الفئات من المناضلين المتحزبين أن الجامعة العربية في نشأتها الأولى وليدة الإرادة الاستعمارية، وهذا ما ألفه الباحث الفرنسي "كريستيان هوك" في قاموسه التاريخ السياسي، فإذا بحثنا عن مادة "الجامعة العربية" سنجد تعريفاً ينطق بتاريخ النشأة (22مارس 1945) يوم وقّعت سبع دول عربية على وثيقة التأسيس انطلاقاً مما سمي بروتوكول الإسكندرية ونسي الناس من أهل السياسة جميعهم – عرباً وغرباً– ما تأسست عليه جامعة الدول العربية، فكأنها بعد أن استقلت سائر الأقطار العربية وانضمت إليها، قد تخلصت من عقدة المنشأ، وأصبحت الترجمان الأمين المشترك بينهم ولكنها ظلت تجر معقبات ما بنيت عليه، أنها منظومة تكرس مبدأ السيادات القطرية، وأنها وفية لذاتها بتطابق اسمها على مسماه: "جامعة الدول العربية" لا "الجامعة العربية"[1].

أما عن الامتهانات المتراكمة في موضوع اللغة – التي تطرقنا إليها في الفصول السابقة– قد أتت بنتيجتها، فكان أن خرج الملوك ورؤساء العرب في مؤتمر قمتهم التاسعة عشر عن صمتهم (الرياض، مارس2007) فاستحدثوا نهجاً غير مألوف، وتحدثوا عن لغتهم حديثاً هو لأول مرة يرقى إلى مرتبة الخيارات الجوهرية، ولقد كان المؤتمر تحت شعار "التضامن العربي" ولقد جاء في البيان: "...واستلماماً للقيم الدينية والعربية التي تنبذ كل أشكال الغلو والتطرف والعنصرية، وحرصاً منا على تعزيز الهوية العربية وترسيخ مقوماتها الحضارية والثقافية، ومواصلة رسالتها الإنسانية المنفتحة في ظل ما تواجه الأمة من تحديات ومخاطر تهدد بإعادة رسم الأوضاع في المنطقة وتمييع الهوية العربية، وتقويض الروابط التي تجمعنا..."[2].

[1] مقتطفات من كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

[2] بين اللغة والخطاب والمجتمع: مقاربة فلسفية اجتماعية.

ويواصل نص البيان الختامي بالتأكيد على الضرورة الملحة لاستعادة روح التضامن العربي وحماية الأمن العربي الجماعي والدفع بالعمل العربي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتنموية، والالتزام بالجدية والمصداقية في العمل العربي المشترك والوفاء بمتطلبات دعم جامعة الدول العربية ومؤسساتها[1].

ثم أتى القرار الذي تم التمهيد له بحيثيات التسويغ: نعلن عزمنا على العمل الجاد لتحصين الهوية العربية ودعم مقوماتها ومرتكزاتها وترسيخ الانتماء إليها في قلوب الأطفال والناشئة والشباب وعقولهم باعتبار أن العروبة ليست مفهوماً عرفياً عنصرياً بل هي ثقافة موحدة.

وهنا نقرر:

-إعطاء أولوية قصوى لتطوير التعليم ومنهاجه في العالم العربي.

- تطوير العمل العربي المشترك في المجالات التربوية والثقافية والعلمية عبر تفعيل المؤسسات القائمة[2].

والذي يدعونا إلى الإفاضة هو سياق الهوية العربية والأمن اللغوي، فهم أولوا الأمر يقررون من أعلى صروح قمتهم "تعزيز حضور اللغة العربية في جميع الميادين بما في ذلك وسائل الاتصال والإعلام" كما جاء في نص البيان.

لم يمض على قمة الرياض عام واحد حتى اجتمع في مقر الأمانة لجامعة الدول العربية في القاهرة وزراء الإعلام العرب، كان ذلك في 12 فيفري 2008 وكان الغرض هو المصادقة على وثيقة حملت عنواناً شديد الوضوح: "مبادئ تنظيم البث والاستقبال الفضائي والإذاعي والتلفزيوني في المنطقة العربية".

[1] بول ريكول: اللغة والخطاب.

[2] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

لقد مكنت الوثيقة أصحاب القرار العرب من أن تمتد يدهم الراعية على كل الفضاء السمعي، والسمعي البصري، من جميع فئات البث الحكومي والخاص والأجنبي المقيم على الأرض العربية والعربي المهاجر إلى الأمصار غير العربية.

ولم يمض على توقيع وزراء الإعلام العرب وثيقة تنظيم البث الفضائي حتى حل موعد مؤتمر قمة الملوك والرؤساء في دورته العشرين فانعقد في دمشق 29-30 مارس 2008 وكانت سورية قد أعدت وثيقة في صيغة "ورقة علم" جعلت عنوانها: "النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة"[1].

واستهل الفصل الخامس:

بانهيار القيم اللغوية الذي يعود إلى أسباب متنوعة متباينة منها غياب القرار السياسي الأعلى، فلقد كان الجامع المشترك الأكبر والأبقى في مفهوم الأمة هو اللغة، فبها تستند المقومات من الأرض والتاريخ والعقيدة.

لقد بدأ خروج ملف (النهوض باللغة العربية) من المؤسسة الأم (جامعة الدول العربية) إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لقد كان الملوك والرؤساء يشعرون بحمل تاريخي يضني كواهلهم وكان واجب التحية والإقدام ينفك عن أكتافهم عبء الأمانة، ولكنهم انتبهوا بعد ذلك أن الإرادة العربية في هذه المرحلة التاريخية لا تتيح لهم أن "ينهضوا" بمشروع (النهوض باللغة العربية) وفي مفهوم (النظام العربي) لو أردنا أن نختزله في محور واحد، أو نفتش له عن تشخيص ملموس يحد من تصوراته الهلامية الموغلة في التجريد لما عثرنا على أدل من آليات العمل العربي المشترك، سواء منه المؤسسة الأصل، أو مؤسسات الفروع التي على رأسها منظمة العمل العربي الثقافي المشترك، وتراوحت بنا المشاهد بين درامي وكوميدي وميلودرامي وهنا المنظار اللغوي

[1] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي –دراسة وتوثيق–

سيضعنا وجهاً لوجه أمام كابوس تراجيدي فلقد أوكلوا كل المسائل المتعلقة بالتربية والثقافة والعلوم إلى مؤسستهم المشتركة في هذه المجالات والغريب في هذا أن المنظمة العربية للتربية والفنون والثقافة والعلوم ليس لها اختصاص باللغة لا على وجه التعيين ولا حتى على وجه الإضمار ولو كان كذلك لسميت "المنظمة العربية للتربية والثقافة واللغة والعلوم"[1].

وليس غريباً أن يتصور هؤلاء السياسيون بأن أمر اللغة هو من اختصاص المؤسسات التعليمية والجامعية منها تحديداً[2].

للمنظمة تاريخ طويل، وفيها من المشاريع ما له عمر مديد، وقد مر عليها عدد ضخم من الكفاءات المقتدرة العالية عملوا في منظومتها إدارة وتفكيراً وتخطيطاً والمنظمة ليست إلا صورة من مؤسسته الأم، جامعة الدول العربية وكلتاهما انعكاس مرآوي قاطبة من خلال أحوالهم المتقلبة بحسب حالهم السياسية من فترة إلى أخرى.

والمنظمة ليست مركزاً للأبحاث ولا مؤسسة للدراسات، ولو كانت كذلك لكان معيارنا في الحكم على إنجازها هو ما حققه من أبحاث وكتب وقواميس وموسوعات.

وليست منظمة خيرية تبرعية ترعى الفكر وتمول نشاطه، إن المنظمة لا مسوغ لوجودها إلا إذا كانت مؤسسة إجرائية، غير أنها منذ أن تأسست لم يكن بوسعها أن تنهض بأعباء مسئولياتها التاريخية في صياغة واقع عربي جديد ولو بقرار واحد ملزم، لقد طافت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في خطتها الشاملة للثقافة العربية بكل أركان البيت الفكري المشترك وأنجزت أشواط طوافها في: الشأن التربوي وفي الهم الثقافي وفي الهاجس العلمي، والأهم من ذلك لم تستطع إغفال

[1] مشروع النهضة باللغة العربية.

[2] مقتطفات من الهوية العربية والأمن اللغوي –عبد السلام المسدي–

أمر اللغة، فإذا بها تتناول القضية عند كل سياق تتسلل فيه اللغة طوعاً أو كرهاً وهكذا وجدت نفسها محمولة حملاً على معالجة ما كانت تظن أنه يخرج عن اختصاصها[1].

إن الخطة الشاملة للثقافة العربية تحمل بين مظانها مصادرة على الإنسانية ومراهنة على المستقبل، وليس من تصور إستراتيجي إلا وهو يسعى إلى إلغاء المسافة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، أي بين القائم بالفعل والذي هو محمول بالقوة في جنبات التاريخ.

لقد مضى الآن على بحث مؤسسة العمل الثقافي العربي وعلى إقرار الخطة الشاملة للثقافة العربية زمن طويل[2].

لقد أحسن المخططون لإستراتيجية الثقافة العربية في مجال العمل العربي المشترك صنعاً عندما عكفوا على أهمية اللغة وقرروا "أن امتلاك السيادة الثقافية داخلياً وخارجياً يتوقف في الأساس على سيادة اللغة العربية في وطنها وبين أبنائها أولاً"، ولقد جاوزا بذلك ببيان مدى أهميتها في تشكيل الإنسان العربي، ثم في رسم معالم مشروعه الثقافي والحضاري في الوقت نفسه، ولقد اتفق العرب جميعاً في خطتهم الشاملة للثقافة على أن "التفريط في اللسان القومي تفريط في الهوية وكسر لهيكل تماسك المجتمع ووحدته"، واتفقوا أيضاً على أن وسائل الإعلام مع الإنتاج الفني كثيراً ما تدعم اللهجة العامية على حساب اللهجة العربية الفصيحة.

لا لوم على المنظمة العربية ولا عتاب على أحد من رجالها، إنما هو المبدأ الذي تأسس عليه العمل العربي المشترك ابتداءً من المؤسسة الأم، ذاك المبدأ الذي هو في جوهره تعطيلي، بمعنى إقصاء القرار عن الإنجاز بحكم شرط الإجماع، ومما هو بديهي بالضرورة أن أمراً حوله إجماع عربي فإنه لا يتطلب درساً ولا عرضاً ولا حواراً، بل من العبث إعلان موقف حياله إلا في حالات تخص الأمن القومي.

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة.

[2] كتاب عبد السلام المسدي الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق–

ننظر اليوم إلى حال اللغة العربية في واقعنا الحي المعيشي، فنجد أنفسنا على مسافات رهيبة مما صاغته الخطة الشاملة منذ عام 1985، فغاب عنا ما تعرفه المجتمعات الأخرى مما تسميه بالتخطيط اللغوي.

مع أواسط القرن العشرين كانت الكثير من أقطارنا العربية تجني ثمرات نضالها المرير لتتحرر من حيز الاستعمار، وكانت حركة التمدن تبشر بمستقبل واعد بالخروج من التخلف الحضاري، أما اليوم أصبح انتشار مظاهر التمدن الجديد مع مختلف أطياف الجيل الجديد قائم على معادلة واحدة: "كلما زاد التمتع بوسائل الرفاه التي توفرها التكنولوجيا المعاصرة كبر حجم التلوث اللغوي المحيط بنا في التداول والمحاورة وفي الإبلاغ والتواصل وفي التوجيه والبث"[1].

وفي البحث عن الفصل السادس والبحث فيه نجد:

أن لدينا وثيقتان هامتان تساعدنا على استجلاء محركات العمل العربي ونفي بالسنوات التي احتلت فيها لغة الضاد حيزاً بارزاً في المشهد السياسي العربي والتي جاءتنا بأمارات دالة على الوعي اللغوي الجديد، فالوثيقة الأولى هي التي أعدتها الجمهورية السورية والتي عنونت بـ: "خطة عمل وطنية لتمكين اللغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها"، وهذه الوثيقة ألمحت إلى أن اللغة أضحت هي الوجود ذاته في عصر بات فيه سؤال الهوية: "من أنا ومن نحن؟" مطروح بشدة على أوسع نطاق، فقال الفيلسوف الألماني هيدغر: "إن لغتي هي موطني ومسكني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع"[2].

لقد وحدت لغتنا العربية بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم آية لنبوءته ودستوراً لأمته، وما

[1] مقتطفات من كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق–

[2] قراءة في وثيقة: "خطة عمل وطنية لتمكين اللغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها".

تزال هذه اللغة الأم الرابط القوي الذي يربط بين أبناء الأمة، فيوحد المشاعر ويجمع الفكر في اللقاء والتفاهم، ويحافظ على الهوية من الضياع وعلى الشخصية من الذوبان والاستلاب، وتستأنف الوثيقة إضافة وإسهاب طافت فيهما أنحاء القضية اللغوية ضمن المنظومة التعليمية وتذكر في سطورها بأنه: ما دامت لغتنا العربية الفصيحة هي اللغة الأم، فيجب علينا حمل المسئولية الملقاة على كاهلنا، ويتطلب العمل على جبهات متعددة، فالحفاظ على الهوية والذاتية الثقافية للأمة واجب مقدس في عصر العولمة، ولغتنا العربية هي رمز كياننا القومي وعنوان شخصيتنا العربية وهويتنا وعلى مثقفي الأمة كل في موقعه أن يقوم بدوره في بث الوعي اللغوي وتعزيز الانتماء للأمة ولغتها[1].

أما الوثيقة الثانية صدرت في تونس (2010) تنص على واجهتها على أنها صادرة في نفس الوقت عن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، أما عنوانها فجاء على الشكل التالي: "مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة"، وهنا نرى في العنوان: "النهوض باللغة العربية" أي من غير إضافة شيء آخر، وهذا يعني أن لغتنا في حاجة أن ننهض بها مما آلت إليه من التهاوي في الحياة العامة ويعني أن ننهض باللغة العربية في "ذاتها ولذاتها".

ونحن مدعوون لإعادة الوظيفة الحيوية الأولى إلى لغة الضاد ونستطيع أن نطلق عليها عدة أسماء كالوظيفة التعبيرية، أو الإخبارية، الإبلاغية أو التخاطبية، ولن يغير ذلك من الأمر صغيراً ولا كبيراً[2].

ولقد انتقلنا بالموضوع بعد ثلاث سنوات إلى تقييد موضوع "النهوض باللغة العربية" بموضوع "التوجه نحو مجتمع المعرفة"، فهنا نعرف أن مجتمع المعرفة هو مجتمع القراءة والمراهنة على العلم وهو مجتمع العقل الذي لا يترك إدارة شؤون الناس لا إلى العواطف ولا إلى الأحاسيس ولا

[1] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق–

[2] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم.

إلى الغرائز الثقافية بما فيها طبائع الثأر ونوازع الفعلية، و"مجتمع المعرفة" مقولة لها قصة شيقة رائعة، ولكن إذا بحثنا عن القصة سنجد حلقة مفقودة في شرحها وأنها نسجت على منوال عبارة أخرى، إنها عبارة "مجتمع الاستهلاك"، ففي المستوى الأدائي نرى كيف انتظمت إضافة المفهومين على أساس إضافة الفاعل إلى فعله من حيث أن المجتمع هو الذي يستهلك[1].

مجتمع الاستهلاك يحكمه تطور الإحساس بأن ما كان كمالياً يصبح بفعل العادة ضرورياً ومجتمع المعرفة يحكمه الارتقاء من الاستجابة لظواهر الوجود إلى فك أسرار ظواهر الوجود، فعلى سبيل المثال في مجتمع الاستهلاك يجري الإنسان وراء المياه المعدنية مستمتعاً بفوارق الذائقة مهما رقت واختفت، أما في مجتمع المعرفة يقف الإنسان عند نسب الأملاح ونسب المعادن الممزوجة في الماء[2].

والدلالات المختزلة هي أن المجتمع الأول هو الذي يستهلك المنتج المادي بوفرة وفي الثانية هو الذي يتمثل المنتج المعنوي بفيض وغزارة، الأولى استنقاء لثمرات المنجز من الجهد الآدمي والثانية تهيئة الإنسان على تحديات الوجود الطبيعي.

لقد انعقدت في تونس قمة عالمية كان مدارها مجتمع المعلومات في 2005 وانطلاقاً منها أصدرت منظمة اليونسكو تقريراً حمل بعنوانه خياراً خاصاً: "نحو مجتمعات المعرفة"، وقام يومئذ جدل شائك، إذ رأت جهات دولية عديدة في صيغة الجمع "مجتمعات المعرفة بدل مجتمع المعرفة"، موقفاً مناصراً لمبدأ تنوع الثقافات الإنسانية واعتراضاً جريئا على نسقية الثقافية الكونية الواحدة المتفردة[3].

وننتقل إلى الفصل السابع حيث:

[1] دراسة في وثيقة: مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع الثقافة.

[2] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق–

[3] دراسة في وثيقة: مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع الثقافة.

تعرفنا في الفصل السابق على مجتمع المعرفة، أنه مجتمع القراءة والمراهنة على العلم، مجتمع المعرفة هو الذي يستجيب لقيم رمزية خالدة جاء بها النص المقدس، ولم نؤكد بما يكفي على أن "النهوض باللغة العربية" قضية، وقضية أخرى وهي "مجتمع المعرفة"، وهما قضيتان منفصلتان رغم أنهما متلازمتان في الحضور، هما قضيتان تدعو الواحدة منهما الأخرى دون أن تذوب فيها.

في هذا المنطق يمكن أن نستكشف التمثلات التي هيئت إعداد وثيقة المنظمة العربية والثقافة والعلوم التي جاءت تعلق "النهوض باللغة العربية" على "التوجه نحو مجتمع المعرفة"، ونصت في قرارها على ما يلي: "انطلاقاً من دور اللغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية، وتوحيد الأمة العربية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وتحقيق التواصل والتفاعل بين أبناء الأمة العربية باعتبارها أساس القومية العربية وعنوان شخصيتها وذاتيتها الثقافية ودورها في دعم التنمية المستدامة وكونها سبيل الأمة نحو التوجه إلى مجتمع المعرفة والتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ووضع الخطط والسياسات اللغوية لتمكين اللغة العربية والحفاظ عليها من التحديات التي تواجهها في ظل العولمة"[1].

وأيضاً وثيقة الألكسو التي أصدرت في 2010 وكانت وثيقة موازية للسلسلة التي تبلور بها مشروع النهوض باللغة العربية وكان عنوانها: "تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية وأثره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفي التوجه نحو الاقتصاد القائم على المعرفة"، وكانت من إعداد الدكتور محمد مراياتي والعنوان يدل على الانخراط في التصورات التي سوقتها ثقافة العولمة، والتي جعل منها المجتمع الدولي معياراً يقيس مدى حزم الدول النامية في اللحاق بالحداثة الكونية، وكان الرمز الشائع قائم على زوجين من المفاهيم وهما مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة.

ولقد أضاف مدير اليونسكو في قوله مؤكداً أن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية بغية استعمال القوى العاملة العربية لها في القطاعات التي تعمل فيها، وإن الجهود والاستثمارات الكبيرة

[1] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق–

التي تضعها الدول العربية نحو مجتمع المعرفة لن تكون مجدية إذا فارقها وجود المعرفة والمعلومات العلمية والتكنولوجيا باللغة العربية لكي تكون في متناول الفرد العربي، وأصبحت مسألة إعداد السياسة القومية والسياسات الوطنية للغة ودورها في عملية التوجه نحو اقتصاد قائم على المعرفة، وكما قيل: لم يشهد التاريخ تقدم أمة من الأمم بغير لغتها.

لم تبرح المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تجتهد في ما نظنه تحقيقاً لمشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة ونجد من بين الحلقات والتقارير التي عقدها الوزراء العرب في مجال التربية أو مجال الثقافة الحلقة التي سميت بـ: "أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي"، وتأتي الوثيقة الثانية التي أصدرتها المنظمة في العام نفسه (2010) بعنوان: "استخدام الثقافات الحديثة في تطوير اللغة العربية"، أما الحلقة الثالثة كانت ضمن المشروع الصادر عن المنظمة في العام نفسه (2010) هي التي تعيننا في سياقها هذا تخصيصاً، لأنها تتناول على وجه التدقيق حسب نص عنوانها "السياسة اللغوية القومية للغة العربية".

لن نقف على جل فصول التقرير، فهي تستوفي أشراط الاقتضاء الأكاديمي وتستجيب لنداءات الالتزام الحضاري، واختتم هذا التقرير بـ: "تنفيذ السياسة اللغوية القومية للوسائل والآجال والموارد".

وتحتاج اليوم اللغة العربية إلى جانبين أساسيين هما: سياسة لغوية تدعم مكانة اللغة العربية من خلال جملة من القوانين والقرارات، وتحتاج إلى التخطيط اللغوي لتطوير اللغة العربية في علاقتها بالثقافات الحديثة في مجالين هما اللغة العربية والإبداع بها، وبحسب هذين الجانبين (السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي) يقترح التقرير معطيات أساسية توضح توجهات ممكنة بالنسبة إلى سياسات قطرية والأخرى مشترطة وعلى هذا الأساس من المفيد التذكير بما يلي:

- تلازم البعد التشريعي والجانب الإجرائي التنفيذي.

- الترابط بين البعدين القطري والقومي في جميع مراحل التنفيذ.
- التكامل بين المستويين القطاعي والعام من جهة والتلازم الموضوعي للقضايا اللغوية ذات الصلة باللغة العربية.

ويجب إنشاء لجنة تشريعية لغوية قومية عليا تعمل بالتنسيق مع لجان قطرية توكل إليها مهام سن التشريعات اللغوية والنصوص الترتيبية في مجال النهوض باللغة العربية والإشراف على الخطط والمشروعات القومية والقطاعية الشاملة والتنسيق بينهما، ومن الخطوات المؤسسية التي ينبغي قطعها نذكر:

1. إنشاء مراصد للغة العربية في كل بلد عربي ووكالة للتنسيق بينهما في المستوى العربي.
2. بعث خلايا اليقظة اللغوية لاستعمال العربية في الإدارة وأجهزة الدولة والمؤسسات المالية والاقتصادية وبالخصوص في وسائل الإعلام المختلفة لتأثيرها الحاسم في استعمال العربية.
3. بعث قسم علمي على الأقل في حدود سنتين على أقصى تقدير في كلية اللغات أو كلية التدريس لتكوين نخب في اللسانيات النظرية والتطبيقية الحديثة.
4. إحداث مركز بحوث في كل بلد عربي في حدود سنتين على أقصى تقدير لمعالجة اللغة العربية[1].

وفي ختام هذا الفصل نستنتج أن الواقع يبرر أن العربية من اللغات التي لا تحدق بها أخطار كبيرة بحكم أنها من أعرق اللغات التي استطاعت أن توفر لنفسها الربط الضروري بين التصورات العلمية المناسبة لوصفها والصيغ العملية المطلوبة لتناقلها تعليما وتعلماً وواجهة هذا الحد أيضاً بفضل مرونتها وبفضل استعمالها في مجالات عديدة.

وفي الفصل الثامن يبين لنا الكاتب أن:

[1] الأهرام: 2007/03/25.

الأقطار العربية بذلت جهوداً متوالية التزمت فيها بعلوية اللغة العربية من حيث هي التعبير الأسمى عن الهوية الحضارية وانتهى الأمر في عدد من البلاد العربية إلى أن لغة الضاد قد تدنى وضعها الاعتباري في نفوس أبنائها عما كان عليه أيام الكفاح الوطني ضد المستعمر، وفي هذه المعادلة كانت تحول أعراض لم تزد المشكل اللغوي إلا تعقيداً، وهو التغريب، ولقد اكتشف العلماء أن النهج الذي توسلوا به لم يصل بهم إلى النبوغ العلمي الذي رفعوا إليه سقف آمالهم، ولقد كان ربط قضية التغريب بمسألة دعم اللغة العربية لنصرتها والنهوض بها إلى ما هي جديرة به، قد أساء إلى لغة الضاد أكثر مما أحسن إليها[1].

واليوم نحن أمام قضيتين، فموضوع تغريب العلوم ينطوي على صراع علني مكشوف بين اللغة العربية واللغات الأجنبية وموضوع النهوض بالعربية في كل فضاءات الحياة ينطوي على صراع بين الفصحى والعاميات.

ورأينا مشاهد أخرى ازداد الأمر فيها تعقداً، فبعد تخلي الدولة القطرية عن آماتها التاريخية في موضوع اللغة تبينا كيف أفاق العمل المشترك على المهمة الجسيمة وهو غير متأهل لها، وفي الوثيقة التي ذكرناها في الفصل السابق التي خصت الألكسو بها "السياسة اللغوية القومية للغة العربية" أن لا مناص لنا من تجاوز لحظة التلقي المباشر وما يرافقها من استقبال آلي كي تتخذ موقعاً نقدياً يتخطى التسليم الشائع.

إن الأصل في منظومة المجتمع المدني، أنها تقف على حياد، لا تحترف الاعتراض على السلطة القائمة ولا تأتمر بأوامرها أو تنصاع لشهواتها وإذا دققنا جيداً نستنتج أنها تتسم بصفين أولهما أنها مستقلة بإرادتها والثانية غير متحزبة، لأنها لا ترمي بالاً للمنافسة على السلطة ولا تبتغي الوصول إلى مجالسها ولا إلى تقلد مناصب المسئوليات المتكفلة بإدارة الشأن السياسي ومن هذا

[1] أخبار الأدب (11 ماي 2005).

الباب نعثر على وثيقة "النهوض باللغة العربية"، الدائرة حول السياسة اللغوية القومية للغرة العربية، على ما يشي بتداخل المفاهيم وتضارب المقاصد.

إن الأمن اللغوي عماد محوري من أعمدة الأمن القومي برمته ولكن إذا تخلت الدولة العربية عن الاضطلاع بواجبها أنراها استشرقت مآل اختيارها أو حد سنن بالبدائل التي يمكن أن تنوب عنها لحمل أعباء اللغة؟

كل الدلائل تشير إلى أن العرب يسيرون على غير هدي في دروب اللغة ولا أحد يستطيع أن يزعم بأن للعرب مشروعاً لغوياً على حد ما قد يكون لهؤلاء أو لأولئك منهم مشروعهم السياسي أو الاقتصادي أو الإستراتيجي فهنا يأتي مفهوم المجتمع المدني في بيئتنا العربية بأنه وليد رضيع لا يتوفر على المناخ الطبيعي.

وتحدث الكاتب عن فشل السياسات العربية القطرية في رسم مشروعها اللغوي بكل مستلزماته ومواثقه، وبدا جلياً أن القائمين على مصير الشعوب العربية والماسكين بمجالس صناعة القرار كانوا على مسافات طويلة من إدراك التوالج الحتمي بين الهوية والأمن اللغوي، ويشير الكاتب إلى الغياب اللافت للمشروع اللغوي، بما هو استحقاق ثوري وديمقراطي عن خطاب الثورات العربية مع أنه في كتاب يستحضر المثقف كالبداهة فلا يشترط عليه سوى أن يؤمن بالصيرورة التاريخية وأن يعقل الأشياء بمنطق الثورة التكنولوجية من دون أن يتخلى عن انتمائه وأن يتعرف إلى قدره الذي يفرض عليه بالضرورة أن يناضل في سبيل وعي ثقافي جديد.

وعلى هذا استخلص الكاتب أن القادة العرب إن استمروا في استخفافهم بالمعضلة اللغوية وإن لم يباشروا في رسم إستراتيجية ملزمة تقوم على سن سياسة جريئة، سيجد العالم نفسه في لغة تواصل هجينة من بقايا الفصحى وتوليفات من اللهجات المحلية، وصياغة من لغات أجنبية، وحينها سيسود تساهل وسهولة في التداول الشفهي وصعوبة كئيبة في التداول الكتابي، الحال الذي

سيقود بالضرورة إلى أن كل بلد عربي على حدة سيجتهد في صياغة منظومته الخاصة، بعد هذه النتيجة الكارثة المحتملة يؤكد الكاتب أن العرب لن يفلحوا في رهان التاريخ لا باعتمادهم اللغة الأجنبية ولا بتبني اللهجات المحلية وصياغات من لغات أجنبية وحينها سيسود تساهل وسهولة في التداول الشفهي وصعوبة كئيبة في التداول الكتابي.

لقد حكمت الظروف التاريخية على مجامعنا اللغوية بأن تكون على هامش الإرادة السياسية لا جزءًا من متنها وبناءً على القطيعة التي نشأت بين المؤسسة المجمعية والواقع اللغوي لاذت المجامع بما يسمى "أضعف الإيمان" وانخرطت في الثقافة فانبعثت منظمات أهلية تحاول أن تنشط تحت قباء مفهوم المجتمع المدني في نطاق ما يسمى بنسيج الجمعيات.

إن الأسئلة التي تأتت بها الفصول الثمانية السالفة بكثافة حواصلها ما بان منها وما اختفى تدفع بنا إلى الإقرار بأن أسباب تداعي حال اللغة العربية شديدة في تنوعها.

وفي الفصل التاسع عالج الكاتب:

موضوع قضية اللغة العربية في اشتباكها المكين مع الهوية والأمن الثقافي إلا بصياغة موقف نقدي ينفذ إلى الأعماق في خانة البديهيات والسبب الذي دفع إلى هذه الحدة في الحسم والذي ألغى حق الناس جميعهم في تداول أمر اللغة هو التغيير المباغت في حقول المعرفة، فلقد انفجر المجال الجديد وهو علوم الإدراك، فغير المشهد الإنساني تغييراً عميقاً وأربك كل العلاقات الفكرية وحشر الجميع في ورشة واحدة.

أن يبني العربي ولغته روابط لا توجد بين الأمم الأخرى وألسنتهم القويمة ولا نجد جنيس له في الثقافات الإنسانية الشائعة ومهما تباعدت مسافة ما بين درجة الفصاحة التي هو قادر عليها ودرجة البيان الذي يأتيه عليه كلام المتكلمين أو تأليف المؤلفين، فإنه لا يستشعر أي انفصام زمني يحول بينه وبين اندراجه ضمن دائرة التاريخ وبين الحلول في صميم وعيه الذاتي، ولقد حدث في

تاريخ الحضارات المقارن أن العربي قد أحكم علوم المعاجم وأتقن صناعتها اتقاناً ولكن تقييد مراسم المعنى في ضبط مادة اللغة قد كان يتم خارج هاجس التوثيق الزمني.

ولقد تحدث الكاتب في هذا الفصل عن المعنى في اللغة الإعرابية ذو ضفيرة مثلثة الأضلاع تتعاون على تخليقه عناصر اللفظ والترتيب والوظيفة، إن العربي يتكلم بلغته الإعرابية كالعربي وهو يصغي إلى من يتكلم بالعربية ولاسيما قضية الإعراب الذي هو نسغ التركيب في لغة الضاد، قد لا توحي بأبعاد غير أبعادها النحوية الدقيقة وربما فاضت عن دائرة النحو فأوحت بسياقاتها اللغوية[1].

وهكذا تغدو مسألة خصائص اللغة ومسألة الارتباط تلك الخصائص بصياغة المعنى وتوليد الدلالات، قضية فكرية تتجاوز حدود الطرح النحوي والفسيولوجي واللساني، فترقى إلى مراتب المسألة الإدراكية المبدئية، وفي هذا سر تأثيرها في كل معرفة وفي كل خطاب تدون به المعارف، وأشدها اقتراناً به المعرفة المتصلة بالفكر والخطاب المكتوب عن الأدب وحوله فضلاً عما هو مكتوب حول اللغة وحول أنظمتها الحاسوبية والوظيفية وفي هذا الفصل حاول الكاتب تقديم بعض الفرضيات التي قد تساعد على تحديد الأفق الذي يتيح جواباً من إجابات متعددة محتملة ويبقى المسعى محكوماً بتسليم مبدئي نصه أن لا إنسان بلا لغة وأن لا لغة بلا هوية.

وفي الفصل العاشر الذي عنون بـ: "بين المطلق والنسبي":

تحدث فيه عن أركان الهوية وتعددها، وفي قناعتنا الحميمية نحن العرب أن لغتنا العربية هي أفضل اللغات وأغناها وأرقاها وهي أبقى اللغات وأشرفها، فللعربية عند أهلها منزلة تاريخية آثلية ونزول القرآن على من اصطفاه الله آخر المرسلين قد أكسبها منزلة خاصة لدى العرب ولدى كافة المسلمين، وتكتسي هذه الحقيقة العامة لدى العرب خصوصيات إضافية تزيدها رسوخاً وتثبيتاً، فقد أعانت الرسالة المحمدية –على صاحبها أزكى الصلاة والسلام– اللغة العربية أن تتوطن في

[1] مقتطفات من كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي –دراسة وتوثيق–

نفوس أهلها، فتلج مكامن أحاسيسهم، وتسكن أعلى مراتب من ضمائرهم، حتى انصهرت بها مشاعرهم الفردية والجماعية وإن قد دخلت اللغة عالم المقدس من أبوابه الكبرى منذ انجلى القرآن كرسالة تحمل أمانة مضمونها وكنص معجز يصدع على امتداد الزمن بصدق من جاء عن ربه بالرسالة، فقد قام حاجز نفسي بين موضوع اللغة ونواميس العقل الخالص[1].

لقد أكد كل رواد التراث العربي الإسلامي –بدون استثناء– على أن اللغة مجموعة أصوات مركبة ضرباً مخصوصاً من التركيب بحيث تضطلع بهمة الإبلاغ فأجمعوا على تعريفها بوظيفتها الأدائية[2].

ولقد عالج الكاتب في هذا الفصل الموضوع اللغوي من خلال زاوية مخصوصة، هي زاوية المدركات التي تختلف عن زاوية المفاهيم المتصورة باستقرار.

وفي الفصل الحادي عشر:

تحدث عن تجليات الوعي، وفي الفصول السابقة ذكرنا "الوعي اللغوي الجديد" (الفصل الثاني)، وهنا جمع بين الفصل التاسع والفصل العاشر حيث عاد إلى طرح السؤال "من ينهض باللغة؟"، فقد رسم هدفاً مخصوصاً حدده بالرصد الثقافي والاستكشاف المعرفي فلقد قال الكاتب بأن مفتاح كل الأبواب هو الوقوف لحظة عند بعض المفاهيم الإجرائية الفاعلة، ففي الفصل الثالث أشار إلى مفهوم المجتمع المدني وعرج في الفصل السادس على علاقته بمفهوم مجتمع المعرفة وخلال ذلك ألمح إلى أصل نشأته وذكر هنا أن المجتمع المدني ينشئ حساً، وينتج وعياً، ولكنه لا يصنع قراراً[3].

[1] أبو حسن عبد الجبار بن أحمد (قاضي القضاة)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج16: إعجاز القرآن، تحقيق أمين الخولي (القاهرة والإرشاد القومي) 1963، ص 205-206.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص 546.

[3] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق– لعبد السلام المسدي.

وفي هذا السياق بكل خلفياته ومراجعه نحاول أن ندون ما رصدناه من أمارات تؤسس لوعي لغوي جديد، نقوم بذلك من حيث أننا معنيون باللغة بوصفها مجالاً معرفياً كان من أقدارنا أننا في قلب الرحى من دائرته، ولقد رسمت جمعية حماية اللغة العربية لنفسها أهدافاً عامة صيغت في شكل مضامين مبدئية من أهمها:

1. غرس الاعتزاز باللغة العربية في نفوس أبنائها باعتبارها لغة دينهم.
2. التوعية بأهمية اللغة العربية في نفوس أبنائها باعتبارها لغة آبائهم.
3. حث الهيئات والمؤسسات العامة والخاصة على تعزيز استخدام اللغة العربية وجعلها الأساس في التعامل والتخاطب والإعلان.
4. العمل على تيسير تعليمها للناشئة وتعليمها لغير الناطقين بها.
5. تنظيم المحاضرات والندوات وحلقات البحث للنهوض باللغة العربية.

ولقد أطلق حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في ماي 2012 مبادرته الرامية إلى المحافظة على اللغة العربية وتعزيز مكانتها في المجتمع، وجاءت متعددة الأبعاد، كان في صدارتها ما سمي "ميثاق اللغة العربية"، ويكفينا الوقوف عند المواد الخمس الأولى منه حتى نقدر حجم الطموح النضالي:

- المادة الأولى: اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، وذلك بحسب المادة السابعة من دستور دولة الإمارات العربية المتحدة.
- المادة الثانية: اللغة العربية هي لغة الحكومة وعليه تكون جميع الخطابات والمراسلات.
- المادة الثالثة: اللغة العربية هي لغة التخاطب الرسمي ضمن الجهات الحكومية والأطراف الأخرى ذات الصلة.
- المادة الرابعة: اللغة العربية هي اللغة الأساسية في الخدمات التي تقدمها الجهات الحكومية.
- المادة الخامسة: اللغة العربية عنصر أساسي في التعليم في دولة الإمارات.

ولقد استهل الكاتب في الفصل الثاني عشر بالبداية مع الفكر العربي حيث:

ذكر مناسبة الندوة التي كان موضوعها: "عبد الله الفيصل في دائرة النقد"، ولقد تحدث خالد الفيصل عن تجربة نموذجية حرص بنفسه على إنجازها وهي المدرسة التي يتداول الكلام فيها أحد إلا بالفصحى، وبدا أنه موضوع مهم جداً بموضوع اللغة، وفي عام 2009 أطلق رئيس مؤسسة الفكر العربي الأمير خالد الفيصل دعوة إلى عقد قمة ثقافية عربية التي عقدت في ليبيا مارس 2010 ويخص نص الدعوة (الوثيقة – إنقاذ اللغة العربية)، فقد تضمن بنوداً تتناول وضع الخطط الرامية إلى:

- تشخيص أوضاع اللغة العربية بتعيين المشكلات ونقاط الضعف التي تعاني منها.
- توفير معلومات ومعطيات وإحصاءات تتيح التعرف إلى أوضاع اللغة العربية على صعيد كل بلد عربي على حدة.
- تخصيص ملف للغة العربية في التقرير السنوي الذي تعده مؤسسة الفكر العربي.
- دعوة كل المؤسسات العربية لأن تكون مؤتمراتها كلها بما فيها مؤتمرات الشباب باللغة العربية.
- تفعيل المواد المتعلقة باللغة العربية في الدساتير أو النظم الأساسية للحكومات العربية.
- إقرار سياسة لغوية واضحة لدعم اللغة العربية.
- إنشاء مجلس أعلى للغة العربية، يرتبط مباشرة بالقمة العربية يتولى دراسة أوضاع اللغة العربية في البلدان العربية، ورسم السياسات والإستراتيجيات ومتابعة تنفيذها، ويكون له فروع في كل بلد عربي[1].

وفي هذا الفصل ذكر الكاتب عندما قدم المسئولين العرب في شتى مواقع صنع القرار وإلى المعنيين بشأن اللغة العربية، وإلى عموم الرأي العام التوصيات الآتية:

[1] مؤسسة الفكر العربي، التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية 2008.

1. اللغة العربية وتعزيز الهوية والانتماء.
2. حماية اللغة العربية باشتراك القوانين اللازمة.
3. التخطيط المستقبلي في إطار سياسة لغوية واضحة.
4. اللغة العربية والتعليم ما قبل الجامعي.
5. اللغة العربية والتعليم الجامعي.
6. اللغة العربية والإعلام العربي.
7. اللغة العربية والإبداع الفني.
8. اللغة العربية وتحديات العالم الرقمي.

وهذا الفصل نربطه بالفصل الثالث عشر "نحو ميثاق معرفي" حيث تعدد النداء في عبارة "حماية اللغة العربية" فجاءت حاملة بين طياتها الإقرار بأن المخاطر تحاصرها، وأننا على مشارف سقوط مأساوي حاد، وبناء على ذلك جاء المشروع رانياً إلى استنباط وثيقة تجلى عنوانها بصيغة فعل الأمر "لننهض بلغتنا"، وهنا أفصحت أدبيات التقديم ومفاصل الديباجة على أن الحديث النظري قد أوشك على التشبع لفرط ما حمل إضافة واجتراراً، لذلك تم التأكيد علناً على ضرورة الانتقال مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون، وكم من جهود إصلاحية تشتت في تجاربنا العربية بموجب تعدد نظريات التحصيل اللغوي وتباينها، وضعف الزاد المعرفي الحديث ذاك الذي جاءت به علوم متضافرة في مقدمتها علم اللسانيات حيث امتزج مع علوم التربية وعلوم الإدراك، وفي مسعانا النهوض باللغة العربية لا يتم إلا بتدوين "ميثاق معرفي" يقوم بوظيفة الجسر بين المجالين[1].

إن بين المجالين مجالاً كبيراً ما ظل منسياً في أعرافنا العربية السائدة، إنه مجال المرجعيات المعرفية التي يتحكم إليها التنظير ويصدر عنها التطبيق.

[1] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي –دراسة وتوثيق–

سنقول ميدانياً إن الهوية في مفهومها الشامل قيمة جوهرية في حياة الإنسان بوصفه كائناً ثقافياً قبل أن يكون كائناً بيولوجياً، وجوهر الهوية الانتماء، وهو الذي به يفارق الإنسان آدميته الغريزية مرتقياً إلى آدميته المتسامية، يسلمنا كل ما سبق إلى أم المعضلات في واقع اللغة العربية وفي مصائرها المحتملة ألا وهي تحديد المسئولية الكاملة في المسألة اللغوية، لقد جرى العرف على أن نوعز الأمر إلى صناع القرار التربوي، ومما ينبغي أن يستقيم في أذهان "أصحاب القرار التربوي" الفصل المميز بين ملكة الأداء اللغوي وصناعة الإعراب النحوي، فمثلاً أن الكفاءة النحوية في تحديد وظائف الكلمات داخل الجملة ووظائف الجمل داخل النص ليست البتة دليلاً على امتلاك السليقة التعبيرية بالانسياب التلقائي وعلى شروط السلامة المجافية من اللحن، فإن انطلاق اللسان بالأداء المرتجل على البديهة لا يدل بالضرورة على إتقان الصناعة النحوية وصفاً وإعراباً.

إن الأصوات الداعية إلى النهوض باللغة، والتي لطالما أكدت على ضرورة استدراك حالها قبل أن يفوت أوان إنقاذها من حالة التهافت والانحدار والنهوض باللغة العربية في حاجة إلى عمل إستراتيجي طويل النفس تتأثر فيه جميع القوى الحية الفاعلة في المجتمع معضودة باردة نافذة من صناع القرار.

ولقد جمع الكاتب بين الفصل الرابع عشر والخامس عشر "الهوية والمعلوماتية وتعدد الأبعاد" حيث:

شرح مضامين هذه الفصول التي عددناها وعلى إيضاح تداخل بعضها في بعض أو التباس مقاصدها بحوافزها، ثم إلى ربط ما تشي به من أنساق ذهنية وإجرائية بسياجها الدائري العام الذي هو تسيير شؤون الناس وسياسة مجتمعاتهم.

إن من أخطر القضايا الفكرية وأدق الأبواب الحضارية مسألة الهوية، ولا يعود خطرها إلى استعصاء فيها، ولا تعزي دقتها في إحساس الناس بها أو إدراك نخبتهم لها، وفي هذين الفصلين

تحدث الكاتب عن موضوع الهوية بشكل آخر حيث بين لنا أن الأمر يتعقد ويتعاظم شأنه بحكم الانتقال الفجائي الحاصل في مرجعيات الحياة السياسية على المستوى الكوني مما ألقى بضلاله على كل معايير الانتظاميات الوطنية والقومية والإقليمية، إن الوعي بالهوية بعقدتها الباطنة لمرهون بإدراك الجدل الحيوي القائم بين مرجعية الهوية ومرجعية المعلوماتية من حيث أن الأولى هي جوهر الدلالة والثانية هي النص المفصح عنها.

وذكر فصل "تعدد الأبعاد"، المستويات التي تبرز فيها القضية اللغوية في الواقع العربي الراهن بحكم طبيعة التحديات التي تواجهها والتي تعمل المؤسسة على تناول المسألة اللغوية من خلالها:

1. المستوى التعليمي
2. المستوى الثقافي
3. المستوى المعرفي
4. المستوى الإعلامي
5. المستوى التداولي
6. المستوى الرقمي

تعمل المؤسسة على الإفادة الكاملة من كل الجهود السابقة في مجال دعم اللغة العربية والنهوض بها سواء في ذلك:

- مجامع اللغة العربية حيثما وجدت.
- مؤسسات العمل المشترك عربياً وإسلامياً: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، مكتب تنسيق التعريب التابع لها، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم (الإيسكو).

أما عن التوصيات فنذكر ما يلي:

1. الحفاظ على الثوابت المميزة للهوية مثل الدين واللغة وباقي السمات الأساسية المحددة للهوية العربية الإسلامية.
2. الحفاظ على اللغة العربية يعزز الهوية ويزيد من قدرة الأمة على مواجهة التحديات المختلفة.
3. اللغة العربية مقوم حضاري أساسي يحفظ للأجيال هويتها من الضياع.
4. تنمية الإحساس بالفخر بالهوية بين الأجيال من خلال التأكيد على استخدام اللغة العربية كرمز للهوية العربية الإسلامية.
5. تطوير استخدامات اللغة العربية في الحركة الفكرية والعلمية والاقتصادية.
6. توفير المعطيات التي تساعد اللغة العربية على الانتقال من حالة التلقي إلى الإرسال.

وبناءً على ورقة العمل هذه أعددنا تلخيصنا الافتتاحي التي كان عنوانها "الهوية واللغة"، كما سنأتي بنصها في الفصول الموالية.

وفي الفصول الآتية سنجمع بين "الهوية واللغة" و"نحو المجتمع التاريخي" وبين "القومي والعالمي" في فصل واحد.

فهنا بين لنا الكاتب بأن اللغة أمر جليل ولقد كتب التاريخ على العرب أن يكونوا بين الشعوب التي أناخ الاستعمار على مصائرها دهراً، ولكنهم كانوا في طليعة البلدان التي استماتت في معاركها التحريرية حتى نالت استقلالها.

فاللغة هي المعمار الخفي الذي يتشيد به الفكر ويستقيم، وكم يحدث أن يتعاون أصحاب القرار مع فئات محسوبين على النخبة كي يتقلص إشعاع اللغة العربية.

إن الترصد المنظم للغة العربية يتخذ شكل الحرب الصامتة تتكشف حيناً وتتقنع أحياناً أخرى، وأيضاً تخيف بشيء آخر هو ألضف بالحقيقة العلمية القاطعة وأعلق بمعطيات المعرفة اللسانية الحديثة، فلأول مرة في تاريخ البشرية يكتب للسان طبيعي أن يعمر حوالي سبعة عشر قرناً محتفظاً بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية فيطوعها جميعاً ليواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أن ينتزع النظام الثلاثي من داخله.

لقد تولد عن موضوع اللغة والهوية فيض غزير من الأدبيات مازال يبحث عن حاضن سياسي وعن رافع إجرائي ولم تبرح فئة من الصفوة الفكرية يتنادون بصيحات الاستغاثة باسم الوعي اللغوي الحضاري.

لا شك أن قول "الهوية واللغة في الوطن العربي" يوشك أن يجعل الإشكالية مكان وقف على قضية اللغة بينما في قولنا "اللغة والهوية في الوطني العربي" احتضان لمسألة الهوية في الفضاء الجغرافي الأرحب.

وعلى التشخيص الدقيق لتهاوي مستوى اللغة العربية على ألسنة الطلاب بما يجعل الكفاءة التعبيرية متدينة جداً.

في 30 ديسمبر 2005 صدر بموجب القانون اللبناني قرار يقضي بالترخيص في إنشاء جمعية أجنبية باسم المجلس العالمي للغة العربية، مركزها بئر حسن وأهدافها هي:

1. الاهتمام باللغة العربية والحفاظ على سلامتها.
2. ترسيخ المنهجية والموضوعية في دراسات اللغة العربية وآدابها.
3. إظهار قدرة اللغة العربية على استيعاب المستجدات العلمية والمعلوماتية الحديثة.

إن سقوط الحواجز التصنيفية بين القومي والعالمي لا يزيدنا إلا تعلقاً بالارتباط المزدوج بين أضلاع المثلث وزواياه: أن لا هوية من غير لغة، وأن لا أمن من غير هوية، فمعركة السيادة

ساحتها المال الرمزي، تماماً على حد ما تكون ساحتها على مشارف الأمن العسكري والأمن الاقتصادي والغذائي والمائي، كلها جداول تصب في نهر الأمن القومي.

وننتقل إلى الفصل التاسع عشر، فهنا تحدث الكاتب عن "الطفل العربي واللغة":

في هذا السياق يتعين الوقوف على الجهد الكبير الذي بذله "المجلس العربي للطفولة والتنمية"، الذي يتخذ القاهرة مقراً له، ولقد جاء انعقاد هذا المؤتمر إدراكاً للأخطار والتحديات التي تهدد اللغة العربية وتحول بين الطفل العربي وتكوين هويته العربية وثقافته ولغته القومية والدعوة إلى إصلاح لغوي شامل يمكن للطفل العربي من امتلاك لغته القومية وتنميتها في المستقبل[1].

والتحديات التي يواجهها الطفل العربي في المسألة اللغوية لها حجم خاص بحكم ما اجتمع فيها من رواسب تاريخية لم تزدها معطيات الواقع الراهن إلا تضخماً وتشبعاً، فمنذ بزوغ فجر النهضة العربية المعاصرة خلال القرن التاسع عشر برزت القضية اللغوية إلى إحراجات تاريخية مستعصية[2].

ولظاهرة تعدد المستويات اللغوية هذه نتائج نوعية تؤثر في المشهد اللغوي العام الذي يستقي منه الطفل العربي نماذجه اللغوية المجردة وأهم تلك النتائج نستخلص منها:

أ. ضعف الرابطة اللغوية التلقائية بين أفراد البلاد العربية.

ب. ضعف الأداء اللغوي.

ج. انعدام وسيلة لغوية موحدة تمكن الطفل من التعبير عن أرائه وغاياته شفوياً وكتابياً.

د. الشعور بالغربة الناتج عن تعدد الواجهات اللغوية.

[1] لغة الطفل العربي في عصر العولمة، وثائق ودراسات مؤتمر لغة الطفل العربي في عصر العولمة.

[2] الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق–

إن اللغة هي المعمار الخفي الذي يتشيد به الفكر ويستقيم، والذي على قوامه تستقيم تنشئة الطفل الذي هو مخزون الأمة وقاطرتها نحو المستقبل ولا مستقبل للناشئة إلا من خلال مصالحة وطيدة مكينة بين الطفل العربي والفئة القومية الصامدة.

ولقد دمج الكاتب هذا الفصل بالفصل العشرين "الاكتساب اللغوي ورهاناته" حيث:

أكد على وثائق المشروع على أن أعواراً تصم حال اللغة العربية في المنظومة التعليمية السائدة، ومن أوضحها: غياب ما يسمى أفضل الممارسات التعليمية –الاعتماد على الكتاب المدرسي لاكتساب اللغة– عدم وجود معايير لتعلم اللغة العربية – غياب معرفة استخدام التكنولوجيا لخدمة تعلم اللغة العربية وإجراء البحوث – ندرة البحوث العلمية والإجرائية المتعلقة بطرق تعلم اللغة، ولقد دمج الكاتب هذا الكلام مع مجال الاكتساب اللغوي التلقائي فعلى الطفل أن يصاب باللغة على معنى أنها بمثابة فيروس أو بمثابة طعم التلقيح، غير أن الذي يفوت المتابعين هو أن هذا الناموس الاكتسابي مطلق لا يعرف التقييد، معنى ذلك أنه شامل للصنفين من الألسنة الطبيعية: صنف الألسنة غير الإعرابية وصنف الألسنة الإعرابية، فيكفي أن تضع الطفل في بيئة فصيحة حتى يشب على الأداء الفصيح بكل حيثياته الإعرابية.

عنون الفصل الحادي والعشرون بـ: "في خصائص المغرب العربي" حيث:

تحدث فيه عن وجود فوارق بين دول المغرب العربي في موضوع الاغتراب الثقافي الذي يهني المناخ الملائم للاستلاب اللغوي، ففي المغرب استقرت اللغة الفرنسية جزءاً فاعلاً في النسيج المجتمعي عن طريق تكريس المؤسسة التعليمية للازدواج اللغوي والذي أعان على هذا الاعتدال أن النخب المثقفة مزدوجة الثقافة بشكل خلاق، والذين ترعرعوا في مناخ اللغة الفرنسية لم يبخلوا على أنفسهم باستدراك الملكة اللغوية الغائبة، ولقد برزت في المغرب أسماء أعلام تجردوا للدفاع عن اللغة العربية ومن هؤلاء الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري الذي ما انفك ينادي في كتاباته الغزيرة

بمؤسسة القضية اللغوية، تتجه إلى الوضوح وإلى الوعي بأهمية النهوض باللغة الوطنية الرسمية في المستوى المطلوب[1].

إن القوانين المنظمة للاستعمال اللغوي منعدمة أو غائبة أو معطلة وغير محترمة، إنه واقع يتطلب الإسراع ببذل الجهود الضرورية اللازمة من قبل كل المسئولين والمعنيين لإصلاحه قبل أن يزيد استحفالا وتتأكد مضاره، ولكل مجال من المجالات المذكورة من يعنيه أمره وما يتعين فعله: إصلاح لغة التعليم يتطلب سياسة تعليمية بديلة تعطي للغة الوطنية الأهمية المستحقة وتتعلق بالمواد ومناهج التعليم والوسائل البيداغوجية وإعداد المدرسين، والمجال الإعلامي يقتضي إعادة نظر وإحكام تنظيم يشمل تكوين الإعلاميين ووضع قوانين فاعلة زاجرة وملزمة[2].

وفي الفصل الثاني والعشرين (الفصل الأخير):

تحدث عن مصير اللغة العربية وعن احتمال إنجابها التدريجي من مجال التداول، وإمكان التحاقها بالألسنة الفاقدة لمقومات الحياة الإجرائية الفاعلة، غائب أو كالغائب في واقعنا السياسي والفكري واللغة العربية تعاني حالياً من وضع بائس نذكر منه أبرز مظاهره:

1. انحساراً خطيراً للغة الأم التي يفكر بها الناس، مما انعكس سلباً في قلة الاهتمام بما ينتج منه أدب وثقافة وعلوم ومعارف وضعف القراءة في مختلف البلدان الناطقة بالعربية.
2. تحولاً تدريجياً للغة العربية إلى لغة شعائرية وانحسار استعمالها في إطار تعبدي وذلك لفائدة اللغات الأجنبية.
3. غياباً كلياً للسياسة الإدارية المتكاتفة الوطنية، منها، أو الإقليمية من أجل ضبط سياسة لغوية صارمة.

[1] اللغة والدين والهوية: الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة.

[2] محور اللغة والهوية –تبين الدراسات الفكرية والثقافية.

إن اللغة في صميم السياسة، وإن الصراع محور محرك للسياسة لأنه مكون أساسي في تاريخ البشر، وإن الحروب عامل جوهري من عوامل الأحداث المحددة لتواريخ الشعوب، ومن الفلاسفة فريق ذهبوا إلى القول بأن تاريخ الأمم هو تاريخ حروبها.

إن لنا في التاريخ عبراً ومواعظ، فلقد اجتمع في الولايات المتحدة من الأجناس والأعراق ما لم يكن يسمح في بدئه بأي تواؤم ثقافي ولكن الرابطة اللغوية في إطار اللغة الإنكليزية، قد جسمت هوية قومية ما كان لها أن تتشكل لولا التوحيد اللغوي الذي هو منه صنع الإرادة البشرية.

إننا في سياقنا هذا نصرف النظر عما صاحب هذا القانون وعما تلاه من جدل واسع لأننا لا نبقي الاستدلال على الرابطة المتينة بين الهوية واللغة[1].

"إن الدفاع عن اللغة العربية هو دفاع عن هويتنا وعن قيمنا"

[1] مقتطفات من كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي.

الفصل الثاني:

القيمة العلمية لكتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي

- الآراء المؤيدة للكتاب
- الآراء المعارضة للكتاب

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن المشاكل التي يتعرض لها الإنسان المعاصر في محيطه الطبيعي والاجتماعي، فهناك دعوات كثيرة إلى الاهتمام بالأمن الغذائي والأمن الاقتصادي، وكذلك الأمن البيئي، ذلك أن ازدياد عدد سكان العالم وانبعاثات ثاني أكسيد الكربون المتزايدة في العالم الصناعي أدت إلى إثارة القلق في مصير الإنسان ومستقبله على صعيد الحياة كافة: الطعام، الهواء، البيئة...

هذه الأمور ترتبط بالبشرية جمعاء ولا تفرق بين أمة وأخرى لكن الاختلاف بين الأمم والاحتكاك المباشر والافتراضي في ما بينها واعتداد كل واحدة منها بتراثها وماضيها والخوف على الهوية والكيان الخاص، كل ذلك أدى إلى ظهور الاهتمام لدى المجتمعات والأمم بالأمن الديمغرافي والأمن القومي وغير ذلك.

إلا أن قليلاً من الناس من تحدث عن الأمن اللغوي في هذا المجال، فعلماء اللسانيات يؤكدون العلاقة الوطيدة بين اللغة الأم وطريقة رؤية المرء لعالمه وارتباط اللغة بالهوية.

وهذا ما تعرفنا عليه في هذا الكتاب، حيث تجرأ عبد السلام المسدي الذي يدافع منذ زمن طويل عن اللغة العربية وضرورة الحفاظ عليها والتداول بها، فبعد أن أصدر كتاباً بعنوان: "العرب والانتحار اللغوي": (دار الكتاب الجديد المتحدة 2010) أصدر كتاباً بعنوان "الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق–"، وكان دور هذا الكتاب في الأدب أن الكاتب تحدث فيه عن أمن اللغة العربية، فذلك لأنه يعني تماماً مواقف الصراع التي تتخبط فيها لغة الضاد، ما قد يؤدي إلى تشردها وفقدها دورها التاريخي في المعرفة العربية والإسلامية وبالتالي فقدان روحها ومقوماتها المعيشية والاجتماعية والثقافية والقومية خصوصاً أن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة أشارت إلى أن اللغة العربية تقف على حافة الانقراض، كما أكدت وجود خطر يهدد اللغة العربية في مناسبات عدة من أهمها ما صدر عنها في حزيران 2006 وفي أكتوبر 2007 وفي ماي 2012.

ويكمن دور وأهمية هذا الكتاب في أنه يتناول مسألة ارتباط اللغة العربية بكل محتويات الحياة عند المواطن العربي، فاللغة في نظره تؤثر بالهوية والشخصية والوعي والفكر والمعرفة، كما أن كل هذه المستويات الإنسانية تتأثر هي أيضاً باللغة وتراكيبها، فالعلاقات بين هذه وتلك حميمية ومتبادلة.

وكما ينص عليه بحق العنوان الفرعي "دراسة وتوثيق"، يتصف هذا الكتاب بأنه ذو بعدين اثنين، أولاً: البعد اللساني الذي يتناول العلاقة بين اللغة والقومية بكل وجوهها، اجتماعياً وفردياً، وثانياً: هو أنه يوثق بدقة وأمانة لمواقف العرب، حكومات ومؤسسات، مجتمعين ومتفرقين، تجاه الخطر الداهم على مستقبل اللغة العربية وذلك مع ذكر المقررات والتوصيات وغيرها من النتائج التي توصل إليها العرب من أجل الدفاع عن لغة الضاد والعمل على تطوير استعمالها.

يقدم المسدي دراسة دقيقة ومفصلة للأخطار المحيطة بلغة العرب، "فهي تستجير بهم منذ عقود أن أدركوني هتفت بهم همساً منذ أيام الاستعمار، ثم صاحت عند انقشاع غيمته، وها هي لا تبرح تشكو وتستغيث".

وفي هذا الكتاب تعرفنا على الأخطار التي تأتي من الخارج، وهذا أمر نستطيع أن نقول فيه أنه "طبيعي" نظراً إلى كثرة الأعداء الذين يكبدون للعرب لغتهم وهويتهم إلا أن الخطر الأكبر يكمن في أعداء الداخل، من مثل أولئك الذين يطالبون باعتماد اللهجات الدارجة في تعليم العربية في المدارس، أو ينادون باستعمال اللغات الأجنبية عوضاً عن العربية في مراحل التدريس الأساسي والتعليم الجامعي، فهم يشنون حرباً صامتة أحياناً وعلانية أحياناً أخرى ضد تطوير اللغة العربية وضد استعمالها والتواصل بواسطتها في مختلف المواقف العلمية والمعرفية والأكاديمية[1].

[1] الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق–

وتعرفنا في هذا الكتاب أنه إذا كان للغة العربية أعداء كثر، فإن ذلك يعود لأسباب عدة من أهمها، كما يقول المسدي، أنه "لأول مرة في تاريخ البشرية – على ما نقله التاريخ الموثوق به – يكتب للسان طبيعي أن يعمر حوالي سبعة عشر قرناً، محتفظاً بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية، فبطبوعها جميعاً تواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أن يتزعزع النظام الثلاثي من داخله، بينما يشهد العلم في اللسانيات التاريخية أن الأربعة قرون كانت فيما مضى هي الحد الأقصى الذي يبدأ بعده التغيير التدريجي لمكونات المنظومة اللغوية".

وفي هذا الكتاب تعرفنا أن المسئولين العرب أصدروا عدداً كبيراً من القرارات والتوصيات دفاعاً عن اللغة العربية ولكن المؤلف يرى أن كل هذه القرارات قد بقيت معظمها حبراً على ورق، فهو بعد أن يرصد حركات المطالبة بالدفاع عن اللغة العربية، هنا وهناك، ينتهي بنظرة إن لم تكن متشائمة تمام التشاؤم فإنها لا تبشر برؤية بصيص الأمل في نهاية النفق الذي نعيش فيه.

إن الصورة التي يقدمها الكتاب والمؤلف للأدب العربي ولوسائل تدبر العرب للغتهم ومصيرهم إنما هي صورة على مقدار كبير من التشاؤم، فهو ينتهي في الفصل الأخير من كتابه إلى أن يقول: "ما من خلاف حول أمر متعين بالضرورة، وهو أن –الوعي المعرفي– بمصير اللغة العربية، واحتمال إنجاحها التدريجي من مجال التداول، وإمكان التحاقها بالألسنة فاقدة مقومات الحياة الإجرائية الفاعلة، غائب أو كالغائب في واقعنا السياسي والفكري".

على الرغم من أن عبد السلام المسدي لا يجانب الصواب في الكثير من النتائج التي يتوصل إليها، إلا أننا لا نشاركه في ظلامية الصورة التي يقدمها في بعض مواقع كتابه لواقع اللغة العربية، فهو لا يعطي مكانة كبيرة لنشاط عدد كبير من المؤسسات التي تقوم بدعم المعرفة العربية، وبالتالي يدعم لغتها وذلك عبر نشر الكتب المترجمة وغير المترجمة، وعقد المؤتمرات والندوات، وإطلاق التوصيات والمطالبات بضرورة العمل من أجل حسن استخدام اللغة العربية وضمان تداولها، وليس أقل هذه المؤسسات: مؤسسة الفكر العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة

السياسات، المنظمة العربية للترجمة، مكتب تنسيق التعريب، المجل العالمي للغة العربية...الخ، هذا إضافة إلى الكثير من الجوانب القيمة التي تقدم لأصحاب الأعمال التي ترفع اللغة العربية استعمالاً وتداولاً وترجمة[1].

وفي هذا الكتاب نرى أن عبد السلام المسدي لا يفوت تماماً مثل هذه الوقائع، فهو يوثقها في جملة ما يوثق، ولكنه على ما نرى، يسلط الأضواء على الأخطار الكبيرة التي تعيق بلغتنا قبل كل شيء التشديد على أن خلاص اللغة العربية يجب أن يكون بالفعل لا بالقول، ومن أهم ما يقترحه هو أن يعود العرب إلى مشروع الرصيد اللغوي الذي بدأ العمل به منذ عدة عقود، فهذا سيكون خطوة إجرائية مكينة يتأسس عليه التخطيط الإستراتيجي لمشروع النهوض باللغة العربية"[2].

وكان لهذا الكتاب دور كبير في الأدب العربي وفي إحياء قوة العرب والمسلمين حيث تعرفنا بأن اللغة العربية بما تملكه من خصائص ومقومات ذاتية بالغة القوة تمكنها من صناعة أعرق الحضارات وإن هي تلاقت مع مجتمعات بشرية أحسنت استخدامها معرفياً وحضارياً، وتعرفنا أيضاً أن لها أهمية ومركزية خاصة في واقع الأمة العربية والإسلامية، فهي اللغة التي يتحدث بها ما يقارب أربعمائة (400) مليون عربي تجمعهم منطقة جغرافية واحدة متماسكة من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً، تمثل نقطة الارتكاز والأساس[3].

[1] الفكر العربي، المركز العربي للأبحاث.

[2] كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي –دراسة وتوثيق–

[3] صحيفة اللغة العربية –موقع الإنترنت.

ثم يأتي وحي السماء "القرآن الكريم" باللغة العربية التي تحفظ لهم وحدتهم إلى نهاية العالم شاءوا أم أبوا، قووا أم ضعفوا، تقدموا أم تأخروا...، تلك هي قصة العرب واللغة العربية وهنا أجمل وأهم الأدوار الوظيفية العلمية للغة العربية في بناء وتأهيل وتحضر الإنسان ونهوض المجتمع العربي[1]:

1. العربية من شعائر الإسلام العظيم كونها لغة تلاوة القرآن ولا تصح الصلاة إلا بها.
2. المحافظة على استمرارية وامتداد وفعالية القرآن الكريم في نفوس البشر، تلاوة وفهماً وتعلماً لمعاني ودلالات ومقاصد القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية المعلمة والملهمة لكل إنسان في العالم.
3. مركز وأساس وحدة وانتماء المتحدثين بها في المنطقة العربية وحول العالم.
4. اللغة العربية تعزز الانتماء بالذات والمواطنة العربية لكل المتحدثين بها خاصة منه أبناء الوطن العربي.
5. وسيلة نشر العلوم الإسلامية والمساهمة بحصة كبيرة في بناء الإنسان والمجتمع الحضاري.
6. المحافظة على بقاء وتمدد الهوية العربية والإسلامية، حيث تمثل اللغة الركن الأول من أركان الهوية العربية، والذي يعمل على امتداد القوة العربية والإسلامية وفتح قنوات الاتصال والتعاون مع العالم.
7. حفظ التراث العلمي والأدبي للعرب والمسلمين، والذي يمثل حصاد قرون متتالية من الإنتاج الحضاري العربي والذي نستطيع التعبير عنه ليفسد منه العالم أجمع.
8. تقرير انتماء الأجيال الحالية والتالية للحضارة العربية والإسلامية والمحافظة على بقائها وعطائها وتمددها واستمراريتها إلى نهاية العالم.
9. أحد ركائز التاريخ الكبير المعبر عن قوة ومجد العرب والمسلمين، والقوة النفسية الباعثة والمتحفزة على الفعل والإنجاز والتنافس الحضاري لعرب ومسلمي العالم.

[1] كتاب عبد السلام المسدي –الهوية العربية والأمن اللغوي.

10. ضمان التواصل والتلاقي والتراكم بين الأجيال.
11. هي أساس الثقافة والشخصية والهوية العربية والإسلام، وقوة اللغة العربية وتميزها يعني إمكانية صناعة أقوى هوية وشخصية في العالم، وهي العربية والإسلامية، في حال توفرت إرادة وخطة حقيقية لصناعة الهوية العربية أو حق هوية لقومية خاصة من الدول القومية التابعة للهوية العربية العامة.

الآراء المؤيدة لكتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي:

في كتاب الدكتور محمود أحمد السيد "النهوض باللغة العربية والتمكين لها"، نرى أنه كان مؤيداً لكتاب الدكتور عبد السلام المسدي حيث بين في كتابه بأن الهوية نسيج يتكون من عدة خيوط كل خيط منها يمكن أن يكون نسيجاً ويتحول إلى هوية كما أن كل خيط يمكن أن يتآخى من خيط أو أكثر ليشكل هوية واحدة، ويقال إن هوية هذه الجماعة اللغوية أو التاريخية أو الدينية أو الجغرافية مما يعني أن العنصر الطاغي هو هذا أو ذاك، دون أن يلغي ذلك دور العنصر الآخر أو عناصر أخرى[1].

والدكتور عبد الحسين شعبان يقول في كتابه "العروبة والدولة المنشودة"، أن الهوية ليست ثابتة، إنما متحول ومتغير، وهي ليست كاملة دون تغيير باعتبارها معطى سرمدي ساكن ونهائي وغير قابل للتغيير، ولكن ذلك لا يعني انكسار وجود بعض ثوابت الهوية مثل الدين واللغة، مع أن هذه تخضع أيضاً لنوع من التغيير من خلال فهمها وتفسيرها وتأويلها وقدرتها على تقبل الجديد، وإذا كانت الهوية كلا واللغة مكون أساسي في نسيج هذا الكل كان لابد لنا من وقفة متأنية على العلاقة بين الهوية واللغة[2].

[1] الدكتور محمد أحمد السيد: النهوض باللغة العربية والتمكين لها.

[2] الدكتور عبد الحسين شعبان: العروبة والدولة المنشودة.

وأكد الدكتور فيصل الحفيان في كتابه "اللغة والهوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات"، أن الهوية لا تولد مع الإنسان ولا تتشكل مرة أخرى، كما أنها ليست حراكا في داخله، بل هي ذات علاقة وثيقة بالمحيط، شأنها في ذلك شأن اللغة والثقافة، إذ أن هوية الإنسان يرسمها ويحدد شكلها وألوانها ما يرد إليه من خارجه فهي جزء من هوية مجتمعه، أو تحمل على الأقل بعض ملامح هذا المجتمع، والمجتمع المقصود ليس المجتمع الحاضر فقط، وإنما هو الوسط الاجتماعي الذي يراه المرء ويتفاعل معه، إضافة إلى المجتمع التاريخي أو تاريخ الجماعة التي ينتمي إليها، والتاريخ كل مركب فيه العلوم والمعارف والمواقف والذكريات والمشاعر أفراحاً وأقراحاً والتجارب إيجاباً وسلباً، فذلك كله يسهم في تشكيل هوية الفرد كما يسهم بالقدر نفسه في تشكيل هوية الجماعة كلها[1].

والدكتور محمد أحمد السيد بين في كتابه "اللغة العربية وتحديات العصر" أن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كياناً واحداً متكاملاً ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن تكن غير مركبة.

وإذا ألقينا نظرة على واقع لغتنا العربية عبر التاريخ فإننا نلاحظ أن العرب في جاهليتهم كانوا يستعملون لهجات متباينة، وكان يطلق على كل من هذه اللهجات لغة، واستطاعت اللغة العربية إبان انطلاقها وتوسعها أن تمثل نموذج اللغة التي يحرص المثقفون من غير أبنائها على أن يتحلوا بمعرفتها، بل استعارت حروفها كثير من اللغات الأخرى وخاصة اللغات الإسلامية لكي تكتب كلماتها بها[2].

[1] فيصل حفيان: اللغة والهوية إشكالية المفاهيم وجدل العلاقات.

[2] اللغة العربية وتحديات العصر –الدكتور محمد أحمد السيد بني–

الآراء المعارضة لكتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي:

قال غوستاف لوبون: "إذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها"، وقد يراها أناس ضرباً من المبالغة والخيال، لكن الواقع شاهد بذلك، ولو أننا استنطقنا التاريخ لوجدناه يشهد بذلك[1].

وما ذاك إلا لأن اللغة مفتاح هوية المرء، ومن أضاعه فقد أضاع نفسه وخسر هويته، ومن يخسر هويته يبق ما عاش هائماً وإن حوا في جيبه جوازات سفر من شتى الألوان، فينسب مرة في هؤلاء، فيدفعونه، ومرة في أولئك فيرفضونه، وقد تبدو الصرحة في سبيل العربية مع مياه تعمر مخيمات أهلنا في الشمال ومع الثلوج تحاصر المخيمات في عرسال ضرباً من العبث ولغو الحديث[2].

ومنذ عقود طويلة صرخ عامل يدعو الناس إلى وعي لغوي صريح، فقال الدكتور المبارك: "لا يبلغ الوعي السياسي ولا الوعي القومي مداهماً ما لم يقترنا بالوعي اللغوي السليم، فللنظر جيداً في أحوال الأمم التي نقلدها ونعجب بها لأنها أمم غالية، وقد صرنا مغلوبين مهزومين، هل تخلو عن لغتهم في أشد ما مروا به؟

ونجد في قول كارل فوسلر اللغوي الألماني: "اللغة وطن روحي يأوي من حرم وطنه على الأرض"، وقول الفيلسوف هايدغ: "إن لغتي هي مسكني موطني ومستقري، حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها"[3].

ونزداد يقيناً بأننا بحاجة ماسة للاحتفاظ باللغة العربية عند أبنائنا في أي بلد أقمنا وأي جنسية حصلنا.

[1] موقع الإنترنت: اللغة وأثرها في تحدير الهوية العربية.

[2] صرخة في سبيل العربية والهوية.

[3] اللغة وأثرها في تحدير الهوية العربية.

وقد أشار بعض العلماء صراحة إلى دور الدين في حمل اللغة والحفاظ عليها أمام الهجمات الأخرى، ومن هذه الآراء رأي ابن خلدون، حيث ذهب إلى أن هناك عاملين اجتماعيين أساسيين في انتشار اللغة وسيطرتها في المجتمع، وهذان العاملان هما السلطة والدين، وقد لاحظ ابن خلدون أن عامل الدين أقوى بكثير من عامل السلطة في المحافظة على اللغة العربية، فبعد سيطرت بعض الأمم ضعفت اللغة العربية، إلا أنها استطاعت البقاء، لبقاء الدين في نفوس ناطقيها، فيقول: ""فسد اللسان العربية لذلك، كاد يحفظ لولا ما حفظه من عناية المسلمين للكتاب والسنة الذين بهما حفظ الدين، وصار مرجحاً لبقاء اللغة المضرية من الشعر والكلام، وربما بقيت اللغة المضرية لمصر والشام والأندلس والمغرب لبقاء الدين طلباً لها فانحفظت بعض الشيء"[1].

ومن العوامل التي أدت إلى الفقر في الإنتاج العلمي هو توجه الباحثين العرب إلى الدراسة باللغات الأخرى لما يرونه من فرص أفضل للعمل، حيث أن المؤسسات العامة والخاصة في معظم البلدان العربية تتطلب إتقان لغة أجنبية على الأقل للحصول على فرص عمل دون أدنى اهتمام باللغة العربية.

[1] حسين محمد البطاينة: اللغة وأثرها في تحدير الهوية العربية في عصر العولمة.

الخاتمة

إن اللغات تترك على عواهنها، فتتغير وتتبدل فتستحيل عبر القرون من هيئة إلى هيئة حتى تنحل إلى ألسنة تتغاير ثم تنفصل عن الأم الأولى، ثم يتباعد ما بينها من أواصر النسب حتى تتمايز وتتباين فتمسي ألسنة مختلفة، غير أن تبدل اللغات وانسلاخها عبر الزمن قد تحف بهما ظروف تاريخية تكبح نزوع الظاهرة الطبيعية نحو التبدل، فيستمر كيانها، ويكتب لها الدوام فتبقى، ويتعطل حيالها قانون التاريخ القاضي بفنائها عبر الانسلاخ.

من الحقائق المقررة أن اللغة العربية هي وعاء الأمة الفكر والذخيرة، ومستودع القيم الثقافية وكذلك الاجتماعية، وتوهين لغتنا وإضعافها، ونبذها وإحلال أخرى مكانها قد يؤدي إلى بلبلة في فكر أبنائها وقيمهم العريقة، وفي معاني الهوية والانتماء.

وإذا تخلى امرؤ عن لغته واصطنع لغة غيرها، فإن تفكيره وفكره يتحول شيئا فشيئا إلى مخزون تلك اللغة وذخائرها ويرتبط تدريجياً بعادات أهلها وقيمهم ومع مرور الوقت يتحول انتماؤه إلى ثقافتهم، وقد يعجز فيما بعد عن التعبير عن شعوره وعواطفه بلغته التي تلقاها بفطرته وغريزته من أمه، ويستخدم تعابير اللغة التي جرفت ثقافته، وغيبت معالمه.

إن حماية اللغة العربية من هجمات العولمة هي واجب قومي وديني في آن واحد، فاللغة العربية هي السياج المتين الذي يحميها من آثار العولمة، ومناهضة العولمة تستدعي توعية الجماهير العربية وتعريفهم بأهدافها الخبيثة وجوانبها السلبية، ومن واجب الأمة العربية حماية لغتها وتراثها وبيان الجوانب المضيئة في حضارة أمتنا وتاريخنا.

وفي الختام أقتبس أبياتاً للشاعر الصقلي "اجنتنزيا بوتينا" وعنوانها "لغة الحوار" وهي أكثر من معبرة إذ تختزل أهمية اللغة بوصفها هوية وانتماء:

"ضـــع شعبـــا في الســـلاســـل

جـــــردهـــــم مـــن مـــلابســـــهم

ســـد أفـــــواهـــهم ...لـــكنهـــم مـــا زالـــوا أحـــراراً

خـــذ مـــــنهـــم أعـــمالهـــــم... وجـــوازات ســـــفرهـــم

والمـــوائـــد التـــي يـــأكـــلون عـــــليـــها

لـــــكنهم مـــــا زالـــــوا أغـــنياء

إن الشـــعب يفتـــــقر ويـــــستـــعبد

عـــــندمـــــا يـــسلب اللـــــسان

الـــذي تـــركه الأجـــــداد وعـــــندهـــــا يضـــــع إلـــى الأبـــــد"

كم كان هذا الشاعر صادقاً وأميناً، وهو يضع النقاط على الحروف في موضوع اللغة ودورها في حياة الإنسان الذي يجد ديمومته وديمومة شعبه وأمته في لغته التي عليها تتأسس هويته، وتتحدد معالم انتمائه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي –دراسة وتوثيق– عبد السلام المسدي.
- ابن جني، أبو الفتح العثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت، دار الهدى، 1952، القاهرة.
- في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، الجزائر، دار هومة 2008.
- اللغة العربية والعولمة [د.م]: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 2008.
- إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية: تطوير اللغة العربية، القاهرة، دار النهضة مصر، 2006.
- اللغة والبيئة: أسئلة متراكمة، الرباط: زاوية 2007.
- المجلس العربي للطفولة والتنمية، إستراتيجية التعليم والترجمة والمصطلح، بيروت: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسة، 2013.
- المسدي عبد السلام، الانتحار اللغوي، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- التقرير العربي الثاني للتنمية الثقافية 2009 [د.م]: المؤسسة، 2009.
- خلق القرآن: قوم نصه إبراهيم الأبياري، بإشراف الدكتور طه حسين القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، 1961.
- عبد الجبار، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد (قاضي القضاة) المفتي في أبواب التوحد والعدل.
- حسين طه، نقد وإصلاح، بيروت، دار العلم للملايين، 1956.

الفهرس

الفهرس:

المحتوى	الصفحة
الإهداء والتشكرات	
مقدمة	01
مدخل: بنية حول كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي	04
التعريف بكتاب الهوية العربية والأمن اللغوي:	**05**
أولاً: شكل الكتاب	07
ثانياً: مضمون الكتاب	08
ثالثاً: التعريف بصاحب الكتاب	10
أ. مولده	10
ب. سيرته	11
ج. مؤلفاته وأعماله الأدبية	11
د. الجوائز التي تحصل عليها	12
الفصل الأول: تلخيص كتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي	15
الفصل الثاني: القيمة العلمية لكتاب الهوية العربية والأمن اللغوي لعبد السلام المسدي	52
- الآراء المؤيدة للكتاب	57
- الآراء المعارضة للكتاب	58
خاتمة	**62**
قائمة المصادر والمراجع	**65**